

روايات مصرية للجيب
ماوراء الطبيعة
أسطورة
عدو الشمس
21
مكتبة
TELEGRAM NETWORK
2020


TELEGRAM
NETWORK
TELEGRAM
NETWORK

مقدمة

إنّها من نوع الأمسيات التي أفضل... (عبد الوهاب) يترنم في المذياع بإحدى قصائده الفصحى القديمة.. تعرفون بالتأكيد تلك الأغاني التي يهمهم فيها مع الموسيقا بين مقاطع الكلام.. ما أروعها!

وأمامي ديوان شعر لـ (تاغور) الشاعر الهندي العظيم.. الديوان مترجم إلى العربيّة لكنّ الترجمة لم تفسد شيئًا من حرارة الكلمات ووهج العاطفة المنبعثة من قلب عرف معنى التسامح مع الكون..

أنا أيضًا تعلّمت أخيرًا كيف أفهم الكون وأحبه، بعد ما ضاع شبابي في محاولات خرقاء لتغييره أو تهذيبه.

اليوم فقط فهمت أنّ هذا هو (أفضل العوالم الممكنة) وأننا حقًا لمحظوظون...

هل حان وقت الكلام؟..

إذن فلتسترح قليلًا يا (عبد الوهاب) أيها الملهم..

ولتغف قليلًا يا (تاغور) العبقري.. ولا تغضبا مني..

أنا لست ملهمًا ولا عبقريًا مثلكما.. لكنني أملك بعض حكايات (مسلية) للغاية، كما كان (دوماس) يصف رواياته في آخر حياته..

للأسف لا توجد لدى فرصة للاختيار اليوم.. فأنا مُلزم بأن أحكى لكم قصّة (عدو الشمس) التي وعدتكم بها بعد لقائي مع د. (لوسيفر) في (نيويورك) مع حكايات (التاروت)...

لست في حل من أن أؤجل ذلك، لأن غضبكم على تأجيلى قصّة الكاهن الأخير لم يهدأ بعد. وأنا لا أكرر أخطائي مرّتين إلا حين لا يكون أمامي سبيل آخر...

دعونا إذن نصغ إلى قصّة عدو الشمس... وهي خالية من الرعب تقريبًا.. وهذا- حتمًا - يناسب الآنسات الصغيرات الجالسات هاهنا.. لكنّها

طريفة ومشوقة وهذا - حتمًا - يناسب الجميع...

تعالوا معي عبر أحداث هذه القصة التي أعتقد أنّها ستكون أدق ما كتبت.. لأنّها عبارة عن مذكرات كتبتها في ذات وقت حدوثها.. وبالتالي لم يتدخل وهن الذاكرة في حرف منها..

وسأقدم لك هذه المذكرات كما هي دون تعليق..

* * *

١ - حكاية صورة..

الثلاثاء ٨ يوليو:

عادة غريبة هي أن يجلس المرء إلى مكتبه ليكتب مذكراته.. خاصّة إذا ما كان المرء إنسانًا عاديًا من الذين تزخر بهم الطرقات وطوابير المجمعات الاستهلاكية..، في رأيي أن من يجرؤ على هذا لابد أن يكون من عينة (العقاد) أو (سعد زغلول) أو (روميل) حيث تشكل الحوادث الصغيرة في حياته (تاريخًا) حقيقيًا تسترشد به البشريّة من بعده..

أما بالنسبة لفرد تقليدي مثلي فلابد أن المذكرات لن تزيد على: صحوت من النوم - أفطرت ـ ذهبت للعمل ـ عدت من العمل - نمت - صحوت - خرجت - نمت...

إذن لماذا قررت أنا أن أمارس هذه الجريمة؟!

المشكلة هي أن الأيام تتراكم في مخزن ذكرياتي..

زكائب من الوجوه وأكداس من العلاقات وسلال كاملة من الوعود التي لم أف بها بعد...

شعرت اليوم بأنني بحاجة إلى تنسيق كل هذا وإلا فالويل لي.. وبما أنني - أصلًا ـ من النوع نافد الصبر الذي لا يواظب على التنفس إلا لأنّه يتم رغمًا عنه،

فإنني لا أتوقع أن تستمر هذه العادة الذميمة طويلًا...
أتوقع أن أواظب على الكتابة بضعة أيام.. شهرًا أو أكثر.. ثم أنسى الأمر برمته و(تعود ريمة لعادتها القديمة).. لا تخشوا شيئًا إذن...

* * *

الأربعاء ٩ يوليو:
أشعر بخمول غير عادي بعد عودتي من (نيويورك)، وتلك الحكاية الغريبة التي كانت لي مع المدعو (لوسيفر).. لعله الحر.. لعله الإرهاق.. لعله الشعور بالوحدة..

لكنني أشعر بكلمات الأديب البرازيلي (ماشاو دوأوسيس): لا أدري من أين أبدأ الحياة!..

لا أجد في روحي الرغبة في عمل أي شيء سوى الجلوس في الدار أقرأ كتبًا عن السحر، وأقاوم رغبة التدخين التي تمزقني.. أشعر بالحاجة إلى إخراج هذا السم من حياتي بأي ثمن...

أتحرق شوقًا كي أذهب إلى المعمل لأرى تلك الصور التي كنت التقطتها قبل سفري إلى (نيويورك).. وهي تلك الصور التي بنى د. (لوسيفر) عليها قصته المرعبة الخاصّة بي...

القصة تتعلق بطالبين - فتى وفتاة ـ أحدهما من النوع المسمى (عدو

الشمس) أو (ألبينو).. عرفت من طلبتى أنهما زوجان.. وأنهما حديثًا الظهور في كليتنا... وأنهما انعزاليان تمامًا وميالان إلى الانطواء...

أثارت ريبتى - في أثناء رحلة القناطر إياها - محاولتهما الدءوب من أجل الفرار من عدسة الكاميرا، حتّى ظننت بهما الظنون.. إلا أنني نجحت في التقاط صورة لهما خلسة على سبيل العناد، وأرسلت الفيلم إلى المعمل ونسيت كل شيء عنه..

إلى أن ذكّرني د. (لوسيفر) بالأمر حين قرأ لي أوراق (التاروت)، أمّا رؤيته الخاصّة لما سيحدث فهي أنني لن أجد

أثرًا للزوجين في الصور عند عودتي إلى مصر.
التفسير: تفسير غريب ومضحك هو أن الزوجين قادمان من عالم آخر، ويتضح لي أنهما مخلوقان بشعان لزجان يهمهما بأي ثمن أن يستردا هذه الصورة.
والنتيجة: يتسللان إلى شقتى ليلًا ليستردا الصور، وتنتهي القصة بوفاتي ـ عليهما اللعنة ـ وبأبشع الطرق.
ملحوظة: إلى حدٍ ما تذكرني هذه الحبكة بحبكة فيلم (تكبير) لـ (أنطونيوني) الذي عرض في نادي سينما القاهرة العام الماضي - ١٩٦٧ ـ وهو يناقش الصورة التي تبدو فيها جثة..

ويكون على المصور أن يواجه مطاردة لحوحًا من فتاة تريد هذه الصورة...

وطبعا لم يكن (أنطونيوني) يتحدث عن الموضوع من حيث كونه مرعبًا.. بل ليوحي بعبثية وهراء ما نكافح من أجله..

ما علينا...

غدًا سأستجمع عزيمتي وأرتدي ثيابي وأحلق ذقني ثم أبحث عن الحذاء (ليتني أذكر أين رميت هذا الأحمق).. وأذهب إلى معمل التصوير لأبحث عن هذا الفيلم...

* * *

الخميس ١٠ يوليو:

لقد فعلتها...!

أي والله!.. نجحت في الانتصار على حالة الجمود التي كنت أمر بها، وخرجت إلى المستشفى ثم عرجت على معمل التحميض إياه لأذكرهم بالفيلم... لكنّ الفتاة التي تعمل هناك (وهي بالمناسبة معتوهة نوعًا) قالت لي وهي تتأمل الإيصال وتشهق:

ـ لكنّ هذا منذ شهر تقريبًا.

ضغطت على أعصابي.. وقلت:

- لا أعتقد أن الأمر يتعلق بقصعة من الثريد لو لم أسارع إليها لنفد الثريد منها.. هذا الفيلم ثابت.. ولو أنني تركته عامين فالمفترض أن أجده هاهنا.

ـ أعرف.. لكنّ.. المشكلة هي أن...

وعكفت - مع فتاتين أخريين - نتفحص عشرات الأكياس الورقية التي تحوي أفلامًا أخرى.. ثم هزت رأسها في تعاسة:

ـ هلا جئت غدًا .. ربما كان...

تصاعد الدم إلى رأسي:

ـ إذن فنظام هذا المعمل لا يزيد على نظام سوق الأغنام...

في حرج قالت وهي تنصرف قاصدة زبونًا آخر:

ـ المشكلة أن حادث سطو قد وقع هنا منذ أسبوع.. ومن لحظتها اختلط كل شيء.. ثم جاءت الشرطة لتزيد الأمر سوءًا.. هيه!.. أفندم!.. متى أحضرت الفيلم؟

تركتها وركبت سيارتي وأنا أشعر بأنني عوملت بإهمال لا أستحقه..

وفي الطريق إلى داري خطرت لي بعض أفكار أعتقد أنّها لا تخفى على ذكاء أحد...

يجب أن اتأكد..

أدرت قرص الهاتف في شقتي طالبًا (عبد المجيد) صديقي المحاسب الذي يقطن في شقّة تطل شرفتها على معمل التصوير..

وسمعت صوته الغليظ يتساءل عمن هناك.. فقلت في غيظ:

ـ إنّه أنا طبعًا يا أحمق.. من سواي؟

- لكنك لم تقل حرفًا.. فكيف تتوقع مني أن...؟

ـ لا عليك.. قل لي.. متى وكيف سرق معمل التصوير الذي أمام دارك؟
ـ اهتمام غير عادي.. على كل حال هو سُرق منذ أسبوع تقريبًا.. وسرقته لغز.. لأن السارق لم يمس شيئًا ذا أهميّة سوى... مجموعة من الصور الفوتوغرافية والأفلام التي لم يتم تحميضها!
ـ هل أنت موقن بهذا؟..
ـ حتمًا.. إن (سليمان) صديقي و... قل لي.. كيف حالك أولًا؟ ومتى عدت من (أمريكا)؟.. إن أسفارك هذه..
كان رأسي يهدر كمحرك توربيني عملاق..
أجبته بعبارات قصيرة، ثم جلست أفكّر في مغزى هذا..

ظاهريًا يبدو الأمر كلّه مجرد صدفة.. لكنني ـ وقد سمعت ما قاله د. (الوسيفر) - أشعر بهاجس معين.

لماذا لا تكون سرقة محل التصوير جزءًا من حماس هذين الزوجين لاسترداد صورتهما؟!

يبدو لي الأمر كذلك...

ولكن كيف عرفا أنني اخترت هذا المعمل بالذات؟..

للمرة الأولى أشعر بالذعر يغمرني.. لا يمكن أن يتنبأ (الوسيفر) بالمستقبل.. أنا أعترف له بقدرته على رؤية الماضي - ربما عن طريق قراءة الأفكار - لكنّ نبؤاته بصدد الغد أثبتت فشلها جميعًا...

إذن.. الأمر لا يعدو أن يكون صدفة..

غدًا - الجمعة - أعود إلى المعمل، وأحاول أن أجد صوري المأفونة هذه...

* * *

الجمعة ١١ يوليو:

بعد صلاة الجمعة قصدت المعمل إياه..

في هذه المرّة لم أجد هناك سوى تلك الفتاة البلهاء، حيث أن الجميع انصرف لتناول الغداء.. فما إن رأتني حتّى أشرق وجهها، ومدت يدها تخرج لي كيسًا ورقيًا.. وتقول:

ـ د. (رفعت إسماعيل)!.. لقد وجدنا صورك! سألتها وأنا أدس الكيس في جيبي وأناولها الإيصال:

- مرحى!.. أين وجدتموها!
- كان الفيلم السلبي معلقًا في غرفة التحميض.. فلم يفطن إليه أحد..
شكرتها.. وغادرت المعمل.
الآن يمكنني أن أعرف الحقيقة...
سأصاب بانهيار عصبي لو وجدت مكانًا خاويًا في هذه الصور.. لكني كذلك سأصاب بخيبة أمل لو لم أجد هذا المكان سأنتظر حتّى أصل إلى البيت.. وحين أخلو بنفسي هناك يمكنني فهم الموضوع برمته..

* * *

٢- لا مجال للهلع..

الجمعة ١١ يوليو (تابع):

بيد ملهوفة رحت أتصفح الصور...

يا للسخف!.. كلها تظهر وجوهًا ضاحكة بلهاء تتراص في صفين.. الصف الأمامي جالس والصف الخلفي واقف، يحاول أفراده بأصابعهم أن يصنعوا آذانًا لأفراد الصف الأمامي..

كنت أعرف هذا، وسمحت لنفسى به للأسف..

ولعمري تلك هي مشكلة فن التصوير في مصر.. ما إن تصوب الكاميرا إلى

مشهد طبيعي بارع الجمال حتّى تجد من يحشر نفسه حشراً في الكادر ليرى كم هو جميل.. وبعد ثانية يحتشد عشرات المتطفلين حوله، ليغدو موضوع الصورة أبعد ما يكون عما كنت تزمع!.

دعونا من هذه الملاحظات...

آه!.. ها هي ذي الصورة...

في لهفة أدرسها.. أقربها من عيني.. حسن..

لا داعي لمزيد من القلق.. أنا أرى الفتى (الألبينو) وزوجته الحسناء بوضوح تام من خلف كتف الطالب إياه.. وأرى تلك النظرة في عين الفتى إذ أدرك أنني ألتقط الصورة...

لقد كان د. (لوسيفر) يهرف بما لا يعلم إذن..

هما مجرد زوجين طبيعيين يكرهان الفضوليين من أمثالي.. وأنا الذي كدت أجن كي أرى هذه الصورة!..

لا داعي لمزيد من الهلع إذن..

* * *

السبت ١٢ يوليو:

لا مفر من أن أقع في شرك (التقليدية) من جديد...

صحوت من النوم.. تناولت إفطارًا دسمًا (أحاول أن أزيد من وزني بضعة كيلوجرامات بعد الإقلاع عن التدخين).. ذهبت إلى المستشفى.. عدت للبيت.. طهوت لنفسي غداءً دسمًا لنفس الأسباب السابقة.. نمت.. صحوت..

خرجت.. عدت.. سأنام بعد إنتهاء هذه السطور إذن..

(لا أدري من أين يجيء أصحاب المذكرات بكل الكلام الذي يكتبونه إلى حد أنّهم يملئون مجلدات كاملة).



* * *

الأحد ١٣ يوليو:.

ناديت (مدحت) - أحد الطلبة عندي ـ وقدمت له مجموعة الصور السخيفة التي التقطتها مع الفيلم..، وطلبت منه أن يرفع عن عاتقى مهمّة إعطاء كل صاحب صورة صورته..

كان (مدحت) شابًا نحيلًا عصبيًا سريع الانفعال والصراخ، ممن يستعملون أذرعهم في التعبير أكثر من اللازم.. وهو كثير الحركة إلى حد أنك تجد قميصه دومًا وقد أبى أن يبقى داخل سرواله.. وتشعر كأنما هو خارج من مشاجرة دامية طيلة الوقت..

إنه يذكرني بشبابي إلى حدٍ كبير، ولعل هذا هو السبب في أنني أستريح إليه.. وأثق به أكثر من غيره..

قال لي (مدحت) وهو يحاول ألا يرفع صوته:

- هل يسمح وقتك ببضع دقائق يا د. (رفعت)؟

ـ في الواقع يا (مدحت).. أنا مشغول..

حك رأسه في توتر.. ثم بلل شفته السفلى بلسانه وغمغم:

ـ ثمّة شيء ما يضايقني.. و....

ـ إذن.. تعال لمكتبي غدًا..

وفارقته وأنا أعرف - بالتأكيد ـ نوعية ما يضايقه.. إن (مدحت) هو نموذج لذلك الشاب الطموح المندفع صاحب شهوة

(إصلاح الكون).. إذن من الطبيعي أن يكون هناك دومًا شيء يضايقه..
لقد اعتدت منه ـ مثلًا ـ أن يجيء مكتبي ليقول لي في هستريا:
- سئمت الفقر والمرض!
كأنما - الأحمق - يتوقع أن عندي على مكتبي زرين.. زر خاص بمنع الفقر وزر خاص بمنع المرض.. وأن شكواه إليّ ستدفعني دفعًا إلى ضغط الزرين فيزول الفقر والمرض...
أحيانًا أخرى يقتحم المكتب هاتفًا:
- تبًا للحروب!
فأمد يدي باحثًا عن زر (وقف الحروب) على مكتبي، لكني لا أجد واحدًا.. للأسف..

إن موهبتي البارعة في الإنصات قد جلبت على الوبال.. وأعرف عشرات يحسبون مهمتي في الحياة هي الإصغاء كلامهم وهواجسهم.. لا أكثر...

إذن لي أن أتوقع أن (مدحت) يريدني لشيءٍ من هذا القبيل على غرار (يسقط الاستعمار) أو (فلتحي الإرادة الفيتنامية) أو أي شيء قد يتفتق عنه ذهنه...

في المساء:

بالمصادفة البحتة قابلت د. (محمد شاهين)..

أستاذ (الأنثروبولوجي) العتيد البريء كالأطفال..، إن علاقتى بـ د. (محمد) تعود إلى ذلك اللقاء العاصف في شقتى

يوم كان يحسبني آكل بشر..، بعدها التقينا مرّات محدودة جدًا كان آخرها ذلك اللقاء في فيللا د. (سامي) ليلة راح كل منا يحكى خبراته مع الرعب.. ماذا كانت قصته هو؟.. لا أذكر بالضبط.. أعتقد أنّه تحدث عن قط خائف بلا سبب.. وصديقه الشبيه بالشيطان.. ربما كان ذلك... المهم...

كان كلانا يشعر بالخواء والحاجة إلى رفيق..، فأنا عزب قليل الأصدقاء، وهو أرمل في الآونة الأخيرة، وقد أدركت من نحوله وشحوبه أن أموره ليست على ما يُرام.. ولا غرابة في هذا .. فهو رجل يحتاج إلى زوجة عاقلة تمنعه من إيذاء نفسه أو ارتكاب حماقات تجلبها براعته القاتلة..

جلسنا في مقهى (الفيشاوي).. العبق الساحر الذي لا يزول لحي (الحسين).. وذلك الحزن المرهف لليالي الصيف..

استنشقت هواء المساء.. وتسربت قشعريرة إلى جلدي..، أريد أن أبكي ولا أعرف سببًا لهذا.. لقد أعاد إليّ هذا الرجل ذكرى حاولت أن أتجاهلها طيلة الوقت حتّى حسبتني نسيت...

لقد كانت (هويدا) موجودة في كل لحظة قابلته فيها!

كلا.. لم يكن حبًا.. بالتأكيد لم يكن كذلك.. لكنّه شعور دامٍ يؤلمني.. سمّه الألفة.. سمّه الاشتياق.. سمّه أي شيء... ومن يدري؟. لربما كان الأمر كلّه حنينًا

إلى (رفعت إسماعيل) تلك الأيام التي لن تعود.

حول كوبين من الشاي الجيد جلسنا نثرثر... قرقرة الماء في (الشيشة) التي يدخنها باحتراف حقيقي.. وصراخ النادل.. وارتطام أحجار (الدومينو)..

قال لي د. (محمد) وهو يضع المزيد من قطع الفحم بالماسك:

ـ ما هي آخر أخبارك؟

ـ خواء.. لا أكثر..

- أنت اخترت هذا لنفسك.. لماذا لم تتزوج حين كان سنك مناسبًا ؟

ثم استدرك.. وقال في حرج:

- لازالت سنك مناسبة.. أعني أنّها كانت مناسبة أكثر!

قلت وأنا أذيب مزيدًا من السكر في الشاي:

ـ إنني (هاملت) المصري.. البطل بلا بطولة.. أتكلم وأتكلم لكني أخشى أن أفعل.. لم أزلٍ أعتبر من يقدمون على الزواج شجعانًا إلى حدٍ غير عادي.. ثم من هي البطلة التي تتحمل إنسانًا يقضي نصف يومه في القراءة.. ونصفه في النوم.. ونصفه الثالث - إن كان له نصف ثالث - في الاكتئاب؟

-.. والنصف الرابع في مواجهة الأشباح..!

ثم إنّه قال لي وهو يجرع جرعته الأولى من الشاي:

- عندي لك عروس مناسبة.. فقط إذا كنت جادًا..

تثاءبت.. وقلت في تعاسة:

ـ أنا متحمس.. لكنّ لا تبدو الحماسة على ملامحي.

ـ إذن نلتقي هنا غدًا لنرتب اللقاء..

* * *

الاثنين ١٤ يوليو:

عندي اليوم موعدان يثيران فضولي إلى حدٍ ما..

المَوعد الأول: مع (مدحت) الطالب المتحمس إياه.

الموعد الثاني: مع د. (محمد شاهين) ليلًا للحديث عن زيجتي القادمة. وإليك ما حدث...

في العاشرة صباحًا كنت جالسًا في مكتبي منهمكًا في كتابة إحدى الأوراق العلمية، حين سمعت من يقرع الباب مستئذنًا للدخول..

رفعت عيني فوجدت (مدحت) على الباب.. وعلى كتفه تتدلى حقيبة يد صغيرة..

أشرت له أن ادخل ففعل.. أشرت له أن أجلس فجلس...

أشرت له أن تكلّم سريعًا .. فتكلم..

وكان ما قاله مثيرًا للاهتمام:

- أنت تعرف يا د. (رفعت) أنني من هواة التصوير.. ثمة شيء غير عادي لاحظته في تلك الرحلة التي قمنا بها معك إلى القناطر قبل سفرك..

سقط القلم من يدي ونظرت له بإمعان.. فأردف:

- كنت أشك في الأمر حتّى رأيت صورك وصور صديق آخر كان يحمل كاميرا هو الآخر... هل تأملت الصور بعناية؟!

ومد يده لي حاملًا مجموعة من الصور أخرجها من الحقيبة.. فتناولتها منه دون أن أبعد عيني عن عينيه هل سيقول هذا الفتى شيئًا مما يجول بذهني؟..

رحت أتصفح الصور دون كلمة.. لم أر ما يثير كل هذا الوجل لديه.. كلها مماثلة

لصوري أنا.. ذات الوجوه الضاحكة في بلاهة..

قلت له محاولًا أن يبدو صوتى هادئًا:

- ماذا تراه هنا ويثير ريبتك؟..

اتسعت عيناه وتناول صورة منها ليشير إلى شخص يقف فيها:

- هذا هو (شريف السعدني).. وهو يتحدث إلى شخص ما..، وهذه الصورة.. يبدو فيها (ماهر) وهو يضع يده على كتف شخص ما..، أذكر هذه الصور جيدًا لأنني لم ألتقطها بنفسي.. هناك صديق التقطها لنا ليظهرني ضمن المجموعة..

ـ إن هذا ليس مبررًا كافيًا للذعر فيما أرى..

- كلا.. أنت لا تفهمني..
وفي لهجة أثارت الرعب في قلبي غمغم:
ـ أين أنت؟.. لا أجدك في أية صورة برغم أن (شريف) كان يحدثك.. و(ماهر) كان يضع يده على كتفك أنت..!!
......!

❋ ❋ ❋

٣ - أين أنا؟

الاثنين ١٤ يوليو [بقية]:

شعرت ـ كما هو متوقّع - بالذهول..

كان هذا آخر شيء أتوقع أن يقوله لي الفتى..

إذن فـ د. (لوسيفر) لم يكن مخطئًا على طول الخط.. ثمّة شيء من صواب فيما قال.. لكنّه أخطأ بصدد الشخص..!

كنت شاردًا في كل هذا بينما الفتى يضيف:

-.. وحين رأيت صورك أدركت أنّه من المستحيل أن أكون واهمًا.. لأن صورتي

وأنا أحمل الكاميرا وأصوبها تجاهك واضحة في عشر لقطات على الأقل.. بمعنى أنّه كان المفترض أن أجد بدوري عشر لقطات تبدو أنت فيها حاملاً الكاميرا..!

وابتلع ريقه:

- من المعتاد ـ عند وجود مصورين لذات الحدث ـ أن يظهر كل منهما مراراً على فيلم الآخر...

بللت شفتي بلساني.. وتأملت الصور:

- هذا حق.. ولكن لابد من تفسير ما...

إذن كنت واهمًا بصدد الزوجين..

واحد فقط كان يستحق أن أبحث عنه في الصور بشك..

وهذا الواحد هو أنا...! ...

تساءل (مدحت) في قلق:
- هل تملك تفسيراً لهذا يا د. (رفعت)؟
- بالطبع لا أملك.. كل ما أعرفه هو أنني لست شبحًا؟
قال وهو ينهض ويجمع صوره:
ـ أنا أعرف أن لديك خبرة بهذه الأمور.. لهذا...
- أية أمور؟!..
شعر بأنّه محرج.. وارتجفت يداه وهو يقول:
ـ هذه الأمور.. أعني.. كان واجبًا أن أنبهك.. لربما هو داء عضال في بدايته... أو...
قلت له في جديّة:

- اسمع.. أريد أن تبقى هذه الصور معي.. أريد كذلك أن يظل هذا الموضوع سرًا بيننا..

ـ أنت تعرف أنك تستطيع الاعتماد على يا د. (رفعت). وكانت هذه هي بداية اليوم... !..

ويا لها من بداية غير عادية!...

كان أول شيء فعلته بالطبع هو أن ذهبت لأتأكد من أن وجهي موجود في المرآة المعلقة في الحمام...

كل شيء كما هو.. ذات القبح والنحول والصلع والحمد لله..

ثم إنني تركت العمل مبكرًا، وهرعت إلى أحد استديوهات التصوير حيث طلبت أن

يصورني من أجل جواز السفر بضع صور...
كنت متأنقًا في هذا اليوم بشدة وهذا من حسن حظ الصورة.. لكنّ المصور وقف خلف الكاميرا، وداري رأسه بمنفاخها بعض الوقت.. توطئة لأن يبرز رأسه من جديد ليقول في كياسة:

ـ هل ترى أن نؤجل هذه الصورة بعض الوقت حتّى يكون مظهرك ملائمًا؟!

عليك اللعنة!.. إنني لفي أفضل حالاتي اليوم..

ـ إنّه ملائم بالفعل!

وهكذا التقط لي الرجل الصورة غير مقتنع..

ودعاني أن أزوره غدًا لأتسلمها...

ـ وهل من طريقة لتسلمها الآن؟..

- للأسف.. مستحيل[1] هذا عن منتصف اليوم..

أما عن نهايته.. فقد ذهبت إلى (الفيشاوي) في المساء بحثًا عن د. (محمود شاهين)..

كان جالسًا على ذات المائدة يدخن الشيشة واضعًا ساقًا على ساق.. وقد استرخى كرشه أمامه.. وصلعته تلتمع بالعرق..

فما إن رآني حتّى هش وبش.. وطلب لي فنجانًا من القهوة..

قلت له في كياسة رأيي عن تدخين أستاذ جامعي للشيشة.. فخلع منظاره السميك كاشفًا عن عينيه الضيقتين المنهكتين. وقال:

- التدخين نفسه عادة همجية.. نوع من العربدة الذاتية.. فإذا أنت رأيت رجلًا يحرق نفسه بموقد الكيروسين بدلًا من موقد الغاز، فلا تلمه إلا على إحراق نفسه...

ـ منطق لا بأس به..

وأحضر النادل صينية عليها فنجان القهوة.. فجرعت جرعة ماء حتّى لا أصاب بالقرحة (فأنا لم أذق طعامًا من ليلة أمس



كان جالسًا على ذات المائدة يدخن الشيشة واضعًا ساقًا على ساق .. وقد استرخى كرشه أمامه ..

لأنني لم أجد عندي رغبة في طهي إفطار ولا غداء..)..

شرعت أحكى له بعض الأكاذيب مستمتعًا بأنّه يصدّق كل حرف مما أقول.. لولا البلهاء - كما قال (مارك توين) - لما حقق الآخرون في هذا العالم أي نجاح...

وبعد نصف ساعة طلبت منه أن يحكي لي عن هذه العروس.. قال لي:

ـ هي تدرس الفلسفة في كليتنا، وقد فاتها قطار الزواج لأنّها انهمكت في عملها إلى حد أنّها لم تسمع صفارته إذ يرحل..

صحت في حنق:

- يا سلام!.. ولماذا أتزوج واحدة فاتها قطار الزو..؟
رأيت عينيه المرهقتين تحدقان في عيني.. وسمعته يقول:
- لأنك شخت حقًا يا (رفعت).. ألم تفهم هذا بعد؟
يا للألم!.. أبدًا لن يفارقني الشعور بأنني مازلت طفلًا.. أصغر من كل هذه الكلمات الكبيرة.. وفي لحظة احتضارى لن أشعر سوى بأنني طفل يموت.. لقد شخت حقًا..
قلت منهمكًا مستسلمًا:
- بلى.. أفهم.. حسن.. هل هي جميلة؟
توقعت أن يقول: فاتنة.. وكان هذا سيثير قلقي.. فأنا لا أثق بذوقه البتة.. فهذا

الغرير لا يعرف حتمًا معنى كلمة (جميل).. لكنّه أراحنى إذ مط شفته السفلى.. وهز كفه بمعنى أن...

- بين.. بين.

لا بأس.. إذن هناك أمل.. مادامت لم ترق له..

- وماذا عن شخصيتها..؟

- بين.. بين.

وعائلتها؟..

- بين.. بين..

- وهل هي على شيء من الرجولة؟

- بين بين... ماذا؟.. هل تمزح؟

قلت وأنا أرشف القهوة:

- ظننت عتهًا أصابك فجعلك لا تردد إلا (بين بين).

ثم وضعت الفنجان متسائلًا:
ـ ومتى وكيف أراها؟
- تعالى إليّ غدًا في تمام العاشرة صباحًا.. وسنجد طريقة..
وهكذا.. جلست أرمق الجالسين في فضول.. وأدس بذور اللب بين أسناني.. غريب أنني نسيت تمامًا ما حدث صباح اليوم.. بالتأكيد هو مجرد كابوس أو خطأ مُعيّن.. سيتضح كل شيء لي غدًا.. أمّا الآن فلنحاول تسلية د. (محمد).. سألته في إغراء:
- هل تلعب الطاولة؟
- بالتأكيد...
ـ أنا لا ألعبها...!

لا أدري لماذا أشعر بأنني أستفز هذا الرجل..!

* * *

الثلاثاء ١٦ يوليو:

عرجت على ستوديو التصوير فوجدته مازال مغلقًا.. إذن سنرى شأن هذه الصورة حينما نعود إلى الدار..

وهرعت إلى كلية الآداب، فوجدت د. (محمد شاهين) جالسًا مع اثنين من طلبة الدراسات العليا، يحدثهما عن تصوره لما ينبغي أن تكونه الـ... المهم.. دعونا من هذا...

بعد أن انصرفا سألني عن سبب شحوبي.. هل هو الحياء؟..

- الواقع أنّ هناك ما يثير توتري هذه الأيام...

ثم سألته مباشرة وبلا تمهيد:

- متى لا يظهر الإنسان في الصور الفوتوغرافية؟!

- سؤال غريب حقًا!

وتأمل الأوراق التي بين يديه.. ثم قال:

ـ قالوا لنا: إن الأشباح لا تظهر.. وكذلك لا يظهر مصاصو الدماء..

- ألا يوجد تفسير آخر؟

ـ لو كان هناك واحد فأنا لا أعرفه.. ولكن لماذا تسأل؟

قلت وأنا أنهض وأشير إليه أن يحذو حذوي:

ـ إن من لا يظهر في الصور الفوتوغرافية لهو إنسان في مأزق.. إذ كيف يستطيع هذا البائس أن يظهر في صورة العرس؟!

بدا الذهول على وجهه.. وظننت أنّه يحاول أن يربط الكلمات بعضها بالبعض.. لكنّه قال في سذاجة:

- لا داعي لصورة العرس.. أنا لم آخذ صورة عرس عندما تزوجت!

لن يفهمني هذا الرجل أبدًا..

لن يعرف أبدًا لحظات مزاحي من لحظات جدي.. وذهبنا إلى قسم الفلسفة.. فياله من مكان محبط!.. كنت

أتوقع أن أرى الفلاسفة الرواقيين جالسين على درجات السلم.. وأن أجد من يمشي حاملًا فانوسًا.. أو أن أرى من يعيش في برميل.. لكنّه كان مكانًا عاديًا جدًا.. مكاتب.. وسكرتيرة تطبع شيئًا ما على الآلة الكاتبة.. وبعض طلبة يسألون عن ميعاد امتحان التخلف.. و...

ـ دكتورة (كاميليا)؟

كانت هناك.. تدير ظهرها لنا وتلتقط كتابًا ما من فوق أحد الرفوف...

ولمحت شعرًا كستنائيًا قصيرًا.. وتايورًا رمادي اللون.. ويدًا معروقة عصبية تتحرك هنا وهناك بحثًا عن صيد فلسفي جديد..

شعرت بالهلع.. إنّه كابوسي القديم.. سوف تستدير هذه المرأة لأكتشف أنّها مسخ ذو أنياب.. أو أن لها رأس ذئب.. أو..

لكن ـ لشدة الغرابة - رأيت وجهًا رقيقًا..

كانت ترتدي منظارًا أنيقًا يرتفع فوقه حاجبان متحديان.. وكانت تضع كمية هائلة من مساحيق التجميل.. لا أدري السبب في وجود علاقة طردية بين قوة شخصيّة المرأة وبين حبها لتلطيخ سحنتها بهذه الأصباغ، لتبدو كهندى أحمر من (الشيين) ذاهب لإحراق معسكر وعلى الفور راح (الكمبيوتر) في رأسي الأصلع يصنف ويفند.. ويضع هذه المرأة

في ملف من ملفات البشر التي أحتفظ بها...
وكان الملف الذي دخلته د. (كاميليا) هو ملف (المثقفة الهستيريّة التي لا تهمد، والمدافعة أبدًا عن حرية المرأة).. وهو ملف مناسب إلى أن أعرفها أكثر.
كانت (هويدا) موضوعة في ملف (أنثى بلهاء تبحث عن عريس، ولا تقرأ سوى حظها في الصحف).
وكانت (ماجي) موضوعة في ملف (الصديق الذكي اللطيف).. وأنا نفسي موضوع في ملف (المتشائم المكتئب الذي زاده الخوف من الكون نحولًا).
ورأيت (كاميليا) تتقدم نحونا وعلى فمها ابتسامة متحفظة.. وهنا عرفت حقيقة

مروعة..
عندما تنوي أن تبدأ مشروع زواج لا تصطحب معك أحدًا.. وبمعنى أفضل.. لا تصطحب د. (محمد شاهين) بالذات.. إن هذا الرجل لفضيحة تمشي على قدمين..
لقد راح يعرفني بالدكتورة (كاميليا) وعلى وجهه ابتسامة خبيثة.. وراح يقول كلامًا واضح المغزى.. ويغمز بكلتا عينيه.. و.. و.. حتّى إنني تمنيت لو تحولت يدي إلى قذيفة نوويّة أدسها في فمه ليخرس إلى الأبد...
قالت لي بصوت رجولي قليلًا:
ـ فهمت أن سيادتك من المهتمين بالفلسفة..

وقبل أن أرد صاح د. (محمد) في حماس، واللعاب يتطاير من شدقه:

- جدًا.. جدًا.. إن د. (رفعت) فيلسوف عالي المستوى.. إنّه يتفلسف في كل مكان.. في الشارع.. في العمل.. في الفراش.. في دورة المياه.. إن هذا الرجل هو - ما شاء الله - (أرسطو) مصر!

قالت في رزانة:

ـ عظيم!.. سيكون من دواعي سروري أن أتبادل الحديث معك. ولكن ليكن ذلك في وقت آخر.. حيث إن ظروفي...

ونظرت إلى ساعتها..، فهززت رأسي بمعنى أنني أقدر وأفهم.. ووليت الأدبار مع د. (محمد)...

سألني ونحن عائدان عما يجول بخاطري...

ـ لا أدري - قلت له ـ لا أعتقد أنّها تناسبني أو أنني أناسبها..

- هو مجرد انطباع.. تعال غدًا بدوني وجاذبها أطراف الحديث..

وهكذا... تم تأجيل الحكم في قضية زواجي..

الآن جاء وقت العودة لداري...

عرجت على ستوديو التصوير لأخذ صوري..، قال لي المدير في حيرة: إنّه اسف على الخلط غير المقصود الذي حدث..

ـ أي خطأ؟!

- صورتك يا سيدي.. لم تلتقط.. وجدنا (النيجاتيف) خاليًا من وجهك الكريم.. وبرغم هذا كان المنظر الخلفي موجودًا بكل تفاصيله.. لابد أن خطأ ما قد حدث.. ولكن.. يخيّل لي أنك ترتجف يا سيدي.. ترتجف!.. فما هو السبب في هذا؟!

....

* * *

٤ - البحث عن سبب..

الثلاثاء ١٦ يوليو:

انقطعت علاقتي بالعالم الخارجي...

كان الذعر الذي عصف بعالمي يفوق الوصف...

إذن فالموضوع حق لا مزاح فيه ولا مبالغة ولا سوء تفاهم إن شيئًا ما شريرًا يحدث لي...

هرعت إلى المستشفى باحثًا عن د. (رأفت) زميلى.. وهو رجل صموت كالقبر.. أثق بكفاءته تمامًا..

حكيت له ما كان بصدد الصورة.. فبدا غير مصدق.
ـ لا توجد سابقة علمية تحكي عن شيء كهذا..
ـ إذن فما هو التفسير..؟
- خطأ بسيط.. ظن ذلك الطالب أنّه التقط صورتك ولم يكن هذا صحيحًا.. أمّا المصور فكان شارد الذهن حين التقط صورة لم تكن أنت قد جلست أمامه فيها.
- يبدو لي هذا مبالغًا في الاستنباط..
ـ لكنّه الحل الوحيد...
ووضع يده على كتفي في رفق.. وقال:
ـ أنا أسمع الكثير عن هوايتك للأمور الخوارقية والأشباح والبيوت المسكونة.. أسمع الكثير فأصدق ما أصدق وأكذب

ما أكذب.. لكني أعرف شيئًا واحدًا.. إن هذه الهواية ستدمر السور الفاصل ما بين الحقيقة والوهم في عقلك الباطن..

- هل تعني؟...

ـ نعم.. كف عن لعب دور (صائد الأشباح) قليلًا.. وفكّر كطبيب..

نظرت إلى عينيه مناشدًا:

- هلا أجريت كل الفحوص الممكنة لي؟.. أريد التيقن من أن شيئًا ما لم يصبني..

- وما هي التحاليل الخاصّة بمرض (التلاشي الفوتوغرافي) هذا؟

ـ لا أدري..

تنهد في صبر.. وغمغم:

- سنقوم بتجربة كل شيء إذن...

* * *

وهكذا تحول (رفعت إسماعيل) إلى فأر تجارب..

أخذوا مني دمًا يوازي ما سال في معركة (حطين) من دماء.. رسم قلب.. رسم مخ.. فحص لقاع العين..

عينات من كل سوائل جسمي.. والنتيجة: لا شيء..

إذا ما تغاضينا عن تصلب الشرايين المبكر، وانسداد الشريان التاجي الرئيسي، وتحتل شبكية العين، والربو، والتهاب البروستاتا.. يمكن القول إنني بصحة ممتازة.. وإن جسدي يعمل كما كان دائمًا.. إلا أنّ الجزء الرديء من

القصة بدأ حين وقفت لالتقاط صورة بأشعة (رونتجن) لصدري... وكانت النتيجة هي أن الفني عاد بوجه ممتقع ليصارحني:

- ثمّة خطأ ما.. الفيلم لا يظهر شيئًا على الإطلاق!

ـ تعني أن رئتى سليمتان؟

- بل أعنى أنّه لا توجد رئة على الإطلاق!.. لا يوجد شيء!

هذه هي الضربة القاصمة إذن...

الخطأ لا يتكرر ثلاث مرّات من أشخاص مختلفين...

ماذا قد حدث لي؟...

لا أفهم.. ولن أفهم قبل أن أهدأ قليلًا..

* * *

الأربعاء ١٧ يوليو:

لم يحدث لي شيء غير عادي.. وهذا في حد ذاته أمر مثير يستحق أن أكتبه في مذكراتي...

الخميس ١٨ يوليو:

عشرة أيام على بدء كتابتي مذاكراتي.. يبدو أنني سأواظب على هذا العمل الأحمق فترة أكثر مما توقعت.

نتائج الفحوص التي أجريتها تتوالى، وكلها طبيعية.. لا يمكن القول إنني أعاني مرضًا عضالًا معينًا..

سألت (رأفت) عن رأيه في كل هذا.. فحك رأسه وقال:

ـ الحق أنني لا أدري..
ثم ابتسم ونظر لي نظرة لا أفهم معناها:
ـ ما هي المشكلة في كون صورتك لا تظهر على الأفلام؟.. ألا ترى معي أنّ هذا في صالح القيم الجمالية على كل حال؟!
صعد الدم إلى رأسي:
- يا سلام!.. تريد أن أطمئن إلى ظاهرة مغايرة لكل قوانين الطبيعية.. والكارثة هي أنني محور هذه الظاهرة..!
- لكنك بصحة طيبة عمومًا..
ثم تنهد.. وقال في ملل:
- حسن.. هل ترى أن نستشير أحد المختصين بعلم البصريات؟

- أفضل أن يظل الأمر فيما بيننا حتّى أجد تفسيرًا..

وحين عدت لداري، رحت أحاول أن أضع تصورًا لما حدث لي..

أمسكت بورقة وقلم ودونت أفكاري:

أولًا: يوجد سبب ما يمنع انعكاس صورتي على الأفلام.

ثانيًا: هذا السبب قد يكون فيزيائيًا أو ميتافيزيقيًا.

ثالثًا: الأسباب الفيزيائية هي: تغير معامل انكسار خلاياي.. أو امتصاص جسدي لأشعة الضوء.

رابعًا: هذا التغير الفيزيائي غير المسبوق، قد ينجم فرضًا عن تعرضي لإشعاعات معينة.

خامسًا: السبب الميتافيزيقي لا يمكن التكهن به..

ولكن.. ما هو سياق حياتي في الفترة الماضية؟

هل تعرضت لإشعاعات أو مؤثرات غير عادية؟

يمكن القول إن آخر صورة رأيت فيها نفسي التقطت في (سويسرا) حين حلمت بذلك الحلم الكابوسي عن الغرباء..

بعد هذا واجهت جلسة تحضير أرواح في دار (سام كولبي) النصاب اليهودي، وُضعتُ في عوالم (إدجار آلان بو).

وبعدها حضرت جلسة (التاروت) مع د. (لوسيفر).

إذن فلو كنت قد تعرضت لمؤثر ما.. فهذا لم يحدث إلا مع (كولبي) أو (لوسيفر)...

طبعا لا داعي لأن أضيف أنني لا أحلم في هذه اللحظات.. وإلا كان الحلم تفسيرًا مريحًا جاهزًا...

إن رأسي يوشك على الانفجار...

* * *

الجمعة ١٩ يوليو:
كوابيس شنيعة تطاردني طيلة ليلة أمس...
تارة أجدني في كهف مظلم وسط حشد من الشياطين، يقومون بتنصيبي رئيسًا لهم.. وهو شرف لا أرحب به على الإطلاق.
وتارة أخرى أنا كائن شفاف كف عن أن يكون ماديًا.. وأبدأ في التساؤل بقلق: هل هذا هو الموت؟!!
وأنا يا رفاق أخشى الموت كثيرًا.. ولست من هؤلاء المدعين الذين يرددون في فخر طفولي: نحن لا نهاب الموت.. كيف لا أهاب الموت وأنا غير مستعد لمواجهة



وحين عدت لدارى ، رحت أحاول أن أضع تصورًا لما حدث لى ..
أمسكت بورقة وقلم ودونت أفكارى ..

خالقي؟!.. إن من لا يخشى الموت هو أحمق أو واهن الإيمان.. وكفاني أن (عمر بن الخطاب) - رضي الله عنه ـ أعلن أنّه يخشى الموت كثيرًا.. فأين نحن منه؟

لهذا يمكنكم تصوّر شعوري وأنا أحلم بأنني توفيت حقًا!..

أصحو من النوم غارقًا في العرق البارد، فأدخل الحمام.. وأتأمل وجهى المنتفخ المرهق في المرآة...

وهنا أتذكر شيئًا نسيته تمامًا.. لماذا لم أعد لمقابلة د. (كاميليا)؟..

كان النسيان قد حاصرني في ركنه الضيق المظلم منذ أيام... فلم يعد عندى متسع للتفكير فيها...

وقبل أن أتخذ قرارًا دق جرس الهاتف..

هرعت لأرد وأنا - كالعادة ـ أتوقع مصيبة..
سمعت صوت امرأة خشنًا كالرجال يسألني:
- د. (رفعت)؟
- هذه أنا.. (كاميليا)..!
ـ (كاميليا) من؟
ـ هل نسيت؟.. قسم الفلسفة.. يوم الثلاثاء الماضي.
يالها من مصادفة!.. وكيف عرفت هذه السيدة - أعني الآنسة - رقم هاتفي؟.. وكيف جرؤت على..
- .. مرحبًا يا دكتورة.. أنا.. أنا...
ـ لم نرك ثانية لاستكمال حديثنا الذي لم يبدأ.. رأيت أن أتخذ أنا الخطوة الأولى..

- و... ورقم هاتفي؟
ـ أعطانيه د. (محمد شاهين).. كنت أعرف أنني واجدة إياك صباح الجمعة حتمًا..
- بـ.. بـ.. برافو!
سألتني في لهجة عملية:
ـ ما هو برنامجك اليوم؟
- بـ.. برنامجي؟.. سأطهو طعام الغداء وأصلى الجمعة ثم أعود لآكله.. وبعد ذلك...
- حسن.. نلتقي في السابعة مساء عند...
وذكرت اسم إحدى الكافتيريات.. ثم ودعتني دون أن تترك لي فرصة الاعتراض، وأنهت المكالمة..

شعرت أن اللترات الخمسة من الدم الموجودة في عروقي، قد احتشدت كلها في رأسي.. واحتشد لتران منها في أذني...

هل حقًا سمعت ما سمعته؟..

لقد عرفت كثيرات بدءًا بفلاحات قريتي وانتهاء ببنات الأسر العريقة المتحذلقات في (إنجلترا).. لكني لم أر قط هذه الجرأة الوقحة.. التي أثارت حفيظة فلاح (الشرقية) الرابض في أعماقي...

وقلت لنفسي: إن هذه العانس تحاول أن تطبق قيودها حول الأحمق الذي جاءها يسعى طالبًا الزواج منها.. هذا هو التفسير الوحيد...

إلا أنني - في تمام السادسة مساء - وجدت نفسي أرتدي البدلة الكحلية التي تجعلني فاتنًا (وهذا رأيي الخاص طبعًا).. ورباط العنق الذي اشتريته من (نيويورك).. وقمت بتمشيط الشعر الأشيب على جانبي رأسي بعناية.. لماذا أفعل ذلك؟.. يا له من سؤال!

وفي تمام السابعة دخلت إلى الكافتريا أبحث عنها..، وكانت جالسة في ركن القاعة إلى احدى الموائد.. تتابع الموسيقا القادمة من مكان ما بحركات انسيابية من يدها...

الذي أثار هلعى أكثر من غيره هو أنّها تمسك بين أناملها لفافة تبغ!.. أبدًا لن

أبتلع فكرة الأنثى المدخنة مهما اتسعت نظرتي لتحوي الكون ذاته..

يجب أن أفر.. يجب..

لكني لم أفعل...

مشيت نحوها وحييتها بهزة من رأسي وجلست...

قالت بالإنجليزية: إنني دقيق في مواعيدى، ثم قدمت الى علبة سجائرها.. فهززت رأسي أن لا...

- غريب هذا..!.. قالوا: إنك تدخن كمحرقة الجثث.

- كنت.. أحاول أن أموت بسبب آخر غير هذا.. وعلى كل حال.. من هم الذين قالوا لك؟

- كثيرون.. إنني أعرف عنك أشياء عديدة..

جاء النادل يرمقنا بشك، وعلى ثغره بسمة خبيثة..

فطلبت قدحًا من الليمون، ثم تذكرت أنني يجب أن أكون سخيًا هذه الليلة.. فطلبت قدحين..

وبدأت (كاميليا) تتكلم....

ولم يكن كلامها غبيًا أو مملًا بحال.. فهي تعرف ما تتكلم عنه...

تحدثت عن الفلسفة وعن دورها في الحياة، وعن ثقافة المرأة ونظرة المجتمع إلى استقلاليتها..، وعن تخلف الفكر الذي يرفض مشاركتها الرجل في كل شيء.. ثم سألتني:

- هل تحب الفلسفة؟
درت بعيني أتأمل الموائد حولنا.. ثم قلت بحذر:
- أعتقد أنّها (فن إضاعة الحياة).. الحديث عن القيثارة بدلًا من العزف عليها...
ـ إن ما تقوله لهو نوع من الفلسفة..
- ربما.. لكني لست فخورًا بذلك..
برغم كل شيء كنت أشعر بعدم راحة لجلوسي معها.. لم أمل طيلة حياتي لهذا النمط من النساء المتحديات المستفزات اللواتي يملكن نوعًا من الرجولة لا تخطئه العين..
قالت لي وهي تشعل لفافة أخرى:

ـ أردت أن أقول لك: إنك لم تعتد التعامل مع عقل امرأة.. وأنا سأكون عقلًا صديقًا لك.. أعرف أنك تتعامل مع الخوارق بكثرة.. ولسوف تحتاج إلى من يفكّر معك ويحلل معك ويفند معك.. دع هذا الدور لي..

ـ هل تهتمين بهذه الأمور حقًا؟

- حتمًا.. ولهذا حرصت على الظفر بصداقتك..

هل هى جادة؟.. إذن فالأمر لا يتعلق بالزواج.. إنّها تلعب معي دور الصديق الذكر الذي سيعينني في حل مشاكلي..

وكأنما عرفت ما يدور بذهني، قالت محذرة:

- لكني أنذرك.. إن لقاءنا لقاء عقلين.. فإذا حاولت أن تلعب دور فاتن النساء معي؛ فإن هذه ستكون نهاية صداقتنا..

صديق؟.. يا له من عرض مغر..!.. أنا أحتاج الآن إلى صديق أكثر مما أحتاج إلى زوجة.. لماذا لا أجرب هذا العقل الآن وأصارحها بمشكلتي التي تبدو بلا حل!..

رشفت جرعة من الليمون، ورحت أحكي لها قصتي مع الصور الفوتوغرافية.. بينما هي تصغي لي.. عيناها الرماديتان لا تطرفان إذ تحدقان في عيني بثبات خلف زجاج منظارها..

ـ وهكذا ترين أنني لا أملك أي تفسير لهذا..

ساد الصمت برهة.. وكادت تفتح فاها لولا أن سبقتها قائلًا:

- .. ولا تقولي إنني (وهم) كعادة الفلاسفة.. فأنا لن أفهم هذا السخف ما حييت...

ابتسمت بثقة.. وغمغمت:

- قصّة غريبة حقًا.. لكنّ دعنا نتحدث بصيغة فلسفية.. أنت تراني بمواصفات معينة.. غيرك يراني بمواصفات أخرى..، منٍ هو المحق ومن المخطئ؟.. من أنا حقًا؟.. هل تفهم ما أريد قوله؟

- لا...

ـ أعني أن ما رأته الكاميرا هو حقيقتك..

ـ تعنين أنني شفاف دون أن أبدو كذلك؟

قالت وهي تدفن لفافة التبغ في المطفأة:

ـ أعني أنك تتحول تدريجيًا إلى شبح يا د. (رفعت).

....

* * *

٥ - عدو الشمس..

السبت ٢٠ يوليو:

صحوت من نومي، فنهضت لأفتح خصاص النافذة.

وبدلًا من أن ينسكب ضوء شمس الصيف البهيج ليفترش الغرفة، شعرت أن دلوًا من حمض (الكبريتيك) قد انسكب فوق جسدي كلّه - ملايين الإبر الدقيقة تنغرس في لحمي...

ماذا أصاب الشمس؟.. ماذا حدث؟..

أغلقت النافذة بإحكام، وهرعت إلى الداخل..

وأمام المرآة تأملت وجهي..
لا مجال للشك!.. إن حروقًا صغيرة من الدرجة الأولى تنتشر على جلدي، وتحيط العينين وركني الفم..
ماذا دهاني وأنا نائم؟
هل أصبت بحساسية مفرطة تجاه الشمس؟.. أم أصبت بالبورفريا؟
أم.. ماذا أقول؟...
كدت أحاول ثانية لكنني أشفقت على وجهي من مزيد من الألم.. طفقت أدهن وجهي بالجلسرين.. ثم هرعت إلى الهاتف، وطلبت د. (رأفت) في داره...
- هذا أنا.. (رفعت)..
- أرجو أن تكون في مصيبة تبرر إيقاظي قبل موعدي بساعة.

- بالفعل.. لقد أصبت بحساسية مفرطة تجاه ضوء الشمس.. ولن يكون باستطاعتى الخروج للعمل.. إنني....

وارتجف صوتي على الرغم منى:

ـ (رأفت).. ماذا يحدث لي؟.. أنا خائف!

قال في توتر:

- يا للهول!.. سأكون عندك حالًا يا (رفعت).. فلا تخش شيئًا..

ووضع السماعة..

بعد نصف ساعة كان في داري..

شرع يتفحّص الحروق في وجهي باهتمام بالغ.. وازدادت تجاعيد وجهه عمقًا وجديّة...

ثم إنّه قال وهو يجلس على الأريكة:

- هذا غريب!

في حنق صحت:
ـ هل هذا هو كل ما تستطيع تقديمه لي؟
وضع ساقًا فوق ساق، وغمغم وهو يعقد ذراعيه على صدره:
- دعنا نتعقل قليلًا.. أريد أن تحكى لي كل شيء من جديد..
- ....

* * *

- .. وهذا هو كل شيء..
قال وهو ينقل ساقيه:
- لاحظت أنك تجاهلت الطالبين ـ الزوج والزوجة - تمامًا.. ونسيت كل شيء

عنهما.. أرى أن نعيد البحث عن حقيقتهما من جديد، فلربما كانت لهما علاقة بالموضوع..

- يمكن أن يساعدك (مدحت) في ذلك.. هل تعرفه؟ ذلك الطالب المعتوه بالفرقة الرابعة.. إنهما زميلاه.. أمّا فيما يتعلق بي.. فما هو رأيك بالضبط..؟

نهض متثاقلًا.. وغمغم:

- الأمر يتلخص في حساسية ضوء شديدة.. لقد رأيت أسوأ منها.

- في ليلة واحدة؟!

- ما أكثر ما يجهله الأطباء..

ثم تمنى لي حظًا سعيدًا، ووعد بأن يفعل ما يراه صوابًا.. وتركني وانصرف..

يا للهول!.. لا أريد أن أكون وحيدًا.. يحرقني الإحساس المرير بأن هذه مشكلتي أنا فقط.. أتعذب وحدي.. أجن وحدي.. بينما يعود كل واحد إلى داره مسرورًا، يحمد الله على أنّه ليس أنا... أريد آخرين بأي ثمن...!

* * *

أمام المرآة عدت أتأمل وجهي...

هو نفس الوجه الذي اعتدت أن أراه أربعين عامًا..

ولكن ما سر التغير الذي طرأ لخلاياه؟..

ما سر هذا التبدل في خواص ذاتي؟..

* * *

عدت أطالع قصّة (الرجل الخفي) تحفة (ولز) الخالدة..، أعرف أنني لست خفيًا.. لكني كذلك بالنسبة للعدسات.. يا لها من قصّة ملهمة..!

في هذه القصة تمكّن ذلك الطبيب البارع من تبديل معامل انكسار خلايا جسده، لتصير مماثلة للهواء..

بالتالي صار شفافًا مثله مثل قضيب الزجاج المغمور في الماء.. والحقيقة أنّ هذا الرجل الخفي - الذي كاد يحكم العالم في القصة ـ كان أعمى..!.. نعم أعمى.. لأنّه لا يملك خلايا سوداء في شبكية عينه، ولقد ارتكب (ولز) هذا الخطأ

الجسيم في غمار انبهاره بطرافة المحتوى الأدبي للقصة..

مشكلتي أنا تختلف...

إن الكل يرونني.. لكنّ أفلام التصوير لا تستطيع..

فلو كان معامل انكساري قد تغير - مثل بطل (ولز) - لصرت خفيًا تمامًا حتّى ولو صرت أعمى.. ولما رآني أحد.

إذن معامل انكساري كما هو..

وجودي هو الذي تغير..

أنا وهم يحسب الآخرون أنّهم يرونه...

أنا شبح يخدع الجميع ولكنّه لا يخدع الكاميرا..

فإذا أضفنا إلى هذا كلّه ما طرأ من حساسيتي لضوء الشمس، لقلت: إنني

أتحول إلى مسخ حقيقي.. شىء قريب من مصاصي الدماء أو ما هو أسوأ..
لماذا يحدث لي هذا أنا بالذات؟..

* * *

بعد الظهر تلقّيت مكالمة هاتفية من (صديقي) الجديد..
ـ هاللو!.. (رفعت)؟.. أنا (كاميليا)..
- ليس صعبًا أن تعرفي أننى (رفعت).. فلا أحد سواي يعيش هنا.. وليس عسيرًا أن أعرف أنك (كاميليا).. فأنا لا أتلقى مكالمات أنثويّة بتاتًا..
- يسرني أنك لا تحاول لعب دور (دون جوان)..

- (دون جوان)؟.. بمظهرى وحالتي الصحية؟.. أنا لا أملك مزاجًا يسمح بالمزاح..

- حسن.. ما هو برنامجك لهذه الليلة؟

ـ لا برنامج...

ضربت لي موعدًا للقاء، وكالعادة أغلقت السماعة قبل أن أتنصل أو أنتحل أعذارًا...

لم لا أذهب للموعد؟.. أريد أن أرى الشارع وأسمع صوت الناس يتشاجرون ويصخبون.. سيكون الموعد ليلًا ولن تضايقنى أشعة الشمس بالتأكيد...

وهكذا...

تجدونني جالسًا معها في كافتريا أخرى، أرشف القهوة وأحكي لها عن

الذي أصابني اليوم..
لم أعد بحاجة إلى الخيال كي أعرف مشاعر مصاص الدماء، الذي لا يخرج إلا مع انسدال الظلام، ولا يعود لداره إلا حين ينذر الفجر بالبزوغ..
قلت لها:
ـ قلت بالأمس: إنني أتحول إلى شبح.. ما هو في رأيك سبب هذا؟
- ربما لأنك فقدت علة وجودك..
اللعنة على كل هذا الهراء!.. لا أمقت شيئًا قدر أن أجد نفسي وسط متاهات لفظية لا تنتهي..، على الأقل أنا واثق من أنني لم أمت بعد.. وروحي تهيم.. تهيم؟!.
سألتها في قلق:

ـ سمعت أن المتوفين يظلون فترة لا بأس بها يمارسون حياتهم العادية، غير مصدقين أنّهم ماتوا، وأن الآخرين لا يرونهم.

نفثت دخان لفافة تبغها في وجهي وقالت:

ـ تعني أنك كذلك؟

- ربما...

- هذا هراء.. لا تصدّق أي حرف عن الموت مما يقوله العامة..، مادام أحد لم يعد من هناك ليحكي ما رآه، فكل هذه تكهنات..، كل ما أعرفه أنا هو أنك تنبض بالحياة أمامي.. أراك.. وأسمع صوت لهاثك..، صدقني في أنّ هناك تفسيراً أكثر منطقية..

- وما هو؟

ـ لا أدري.. لكنني سأعرفه فيما بعد...

* * *

الأحد ٢١ يوليو:

كانت ليلة أسود من كل الليالي السوداء في حياتي محتشدة.. لم أعد بحاجة لرؤية الكوابيس في أثناء نومي، لأن حياتي ذاتها صارت كابوسًا متصلًا..

إلا أنني ـ فليحي التفاؤل - نهضت لأفتح النافذة، آملًا في أن يكون ما حدث أمس وهمًا أو حالة عارضة!..

أي ي ي!.. إنّه لعذاب لا يوصف!.. في هذه المرّة شعرت إن جسدي كلّه يغوص في فوهة بركان امتلأت بالحمم..

ألقى بي الألم فوق الفراش.. ثم تحاملت على نفسي فتدثرت بالبطانية، ونهضت لأغلق بوابة الجحيم هذه..



نفثت دخان لفافة تبغها فى وجهى وقالت :

ــ تعنى أنك كذلك ؟..

تررررررررن!..

الهاتف من جديد.. إن تلقّي ثلاث مكالمات في أسبوع لشيءٍ يفوق طاقتي على الاحتمال.. يوشك هذا البيت أن يتحول إلى (سنترال) مركزي. ذهبت لأرد وأنا أعالج بيدي اليسرى كل تلك القشور التي انتشرت فوق وجهي، وعلى ساعدي الأيمن..

صوت د. (رأفت) الوقور:

ـ (رفعت)؟.. أهذا أنت؟

ـ لو كان سواي فالبيت مسكون.. و...

ـ دعك من السخرية.. وقل لي.. بخصوص هذين الطالبين المتزوجين اللذين تحدّثت عنهما.. قلت لي في أية فرقة؟

ـ الثالثة على ما أظنّ..

- حسن.. (مدحت) لا يعرفهما.. لا أحد يعرفهما في الكلية بأسرها.. بل يؤكد الجميع أن شخصين بهذه المواصفات لم يكونا في رحلة القناطر.. لابد أنّ هناك خطأ ما...

ولكن.. خطأ.. مستحيل!

هل فقد الجميع عقولهم؟

ربما أنني قد جننت أو في طريقي إلى ذلك..

والدكتور (رأفت) لم يزل يتكلم......

❋ ❋ ❋

٦ - هو..

الأحد ٢١ يوليو [بقية]:

لن أطيل وصف حالة انعدام الوزن التي شعرت بها، بعد هذه المكالمة اللعينة.. أنت تفهم ما أريد قوله دون أن أتعب نفسي..

لقد رأيت هذين الزوجين بعيني..

سألت عنهما.. سألت كثيرين - و(مدحت) من بينهم. فقيل لي: إنهما زوجان حديثا الظهور في الكلية.. بل والتقطت لهما صورة..

كيف ينكر الجميع الآن وجود هذين؟.. هناك مؤامرة عامّة لجعلي أفقد عقلي، أو

ربما أنا فقدته بالفعل..؟! ..
ولكن... الصورة!..
هذا حق.. الصورة التي التقطتها عندي، وفيها يبدو وجهاهما كأوضح ما يكون...
هذه الصورة دليل لا يُدحض على صدق ما رأته عيناي وسمعته أذناي...
هرعت إلى الخزانة، وشرعت أبحت فيها حتّى وجدت مجموعة الصور.. شرعت أفتش بلهفة حتّى وجدت الصورة...
الحمد لله!.. الآن أرى وجهيهما.. كنت سأنتحر حتمًا - بعد أن أفقد عقلي - لو لم أجدهما فيها، أو لم أجد الصورة أساسًا..
إذن أنا محاط بمجموعة من الكاذبين..

إلا أن شيئًا من القلق ظلّ يخامرني.. ذلك النوع من القلق الذي يدفع المرء دفعًا إلى أن يخرج من شقته (لحسن الحظّ أن مدخل الشقة معتم خال من الضوء).. يتجه بخطى ثابتة إلى شقّة جاره (عزت).. يقرع الجرس..

ينفتح الباب عن وجه (عزت) الكئيب الشبيه بمرضى الفشل الكلوي المتقدم..، مازال هو هو فيما عدا خصلة صغيرة من الشعر نابتة في أسفل ذقنه.. يحاول بها أن يبدو عبقريًا شاذًا..

كان بعد نائمًا كما هو واضح، وأدركت أنّه مازال وطواطًا آدميًا.. بومة بشريّة تصحو ليلًا وتغفو نهارًا.

ـ (رفعت).. ألا تنام أبدًا؟

- وأنت لا تصحو أبدًا.. أريد أن أسألك عن شيء..

ودسست الصورة تحت أنفه.. وقلت:

ـ صف لي ما تراه هنا...

قرب الصورة من عينيه.. وتثاءب.. ثم غمغم:

ـ أرى كتفًا.. ثم.. هـآآآآه!.. ثم حديقة.. هل هذه الصورة ملتقطة في الإسكندرية؟ ربما (أنطونيادس)؟.. ولكن.. لا.. على كل حال ما أهميّة الكتف الذي يوقظني فجرًا بهذا الشكل؟

تساءلت في إلحاح:

- فقط ترى كتفًا؟.. أين الفتى والفتاة في هذه الصورة؟

أعاد التأمل ثم غمغم:

ـ هل هي أحجية؟.. لا يوجد فتى وفتاة هنا..!

انتزعت منه الصورة دون كلمة أخرى.. واستدرت عائدًا إلى شقتي.. متجاهلًا صوته الذي وصل لمسمعي يردد:

- هذا الرجل ليس على ما يُرام..

نعم.. أنا هو هذا الرجل..

فما إن أغلقت الباب علي نفسي، حتّى رحت أردد أنني لا ينبغي أن أجن.. لا يجب أن أفقد صوابي..

أولًا: اختفيت أنا تمامًا من الصور بشهادة الجميع.

ثانيًا: اختفى الزوجان تمامًا عن الجميع عداي، ولا يزعم أحد أنّه رآهما أساسًا..

❋ ❋ ❋

رب قبح عند (زيد)
هو حُسنّ عند (بكر)
فهما ضدان فيه..
وهو وهم عند (عمرو)
فمن الصادق فيما يدعيه؟.. ليت شعري..
ولماذا ليس للحس قياس؟..
... لست أدري...
(إيليا أبو ماضي - الطلاسم)

❋ ❋ ❋

صدقت يا صاحب (الطلاسم)..

أنا أفهم الآن هذه الحيرة الملتاعة.. عدم الفهم لما هو صواب وما هو خطأ.. هل أنا أهذي أم الآخرون يهذون؟ لعلهم يكذبون.. ولكن ما مصلحتهم في الكذب؟ ولماذا يجمعون عليه؟.. لا داعي لإضاعة وقتي في سؤال آخرين عن هذه الصورة.. فأنا أدرك في أعماق أعماقي أنّهم سيقولون الشيء ذاته: لا نرى أحدًا في الصورة..

ولكن لماذا أرهق نفسي بحثًا عن تفسير؟..

ما الضرر - حقًا ـ من أن أرى الزوجين أو لا أراهما؟

وما الضرر في ألا تظهر صورتي على الأفلام؟..

الضرر واضح.. إذ كيف أعيش بقية حياتي - إن كان لها بقية ـ عاجزًا عن رؤية النهار؟!..

* * *

الاثنين ٢٢ يوليو:

اليوم زارني (مدحت) حاملًا علبة من... الشيكولاتة!..

يا لك من أحمق يا (مدحت)!.. أنا لست مريضًا حتّى تعاملني بهذا الأسلوب المعقد... لكنّه قال لي في مودة:

- نفتقدك كثيرًا يا د. (رفعت).. إن عددًا من الطلبة كان يبغى زيارتك، لكني عرضت عليهم أن أقوم بذلك وحدي، حاملًا تحياتهم وعلبة من الشيكولاتة.. أعرف مدى كراهيتك للزحام...

- وكيف عرفت عنواني؟

ـ د. (رأفت).. هو من أبلغنا بمرضك..

ثم ابتسم في ذكاء، وقال:

ـ ألم أنذرك؟.. لابد أنّه مرض نادر يفقد المريض قدرته على الظهور في الصور!

ـ لا أعرف مرضًا مماثلًا سوى الموت..!

وجلبت له بعض المياه الغازية.. ثم جلست أرمقه وهو يجرعها محاولًا أن أسبر غوره...

- (مدحت)..

- نعم يا د. (رفعت)؟
- لماذا كذبت؟!
تقلص وجهه استبشاعًا للتهمة.. ونظر لي غير مصدق.. فقلت له ضاغطًا على مقاطع الكلام.
- أنت كذبت..، والآن لا يوجد هنا سوانا ولن يسمعك أحد.. أريد منك أن تفسر لي سر إنكارك رؤية هذين الزوجين في رحلة القناطر..، أنت رأيتهما.. وأجبت على سؤالي عنهما.. وقلت: إنك تعرفهما منذ فترة.. فكيف تقول الآن: أنّ هذا لم يكن؟
بدت الحيرة على ملامحه، ووضع الكأس جانبًا ليقول:
ـ أنا لا أفهم يا د. (رفعت).. لو كان شيء من هذا قد حدث فأنا لا أذكره.. لا

أعرف طالبين متزوجين في هذه السنّ المبكرة، كما لا أذكر أننا تبادلنا كلمات كثيرة في أثناء الرحلة..

- مرّة أخرى تكذب!

بدا عليه الارتباك، فهو لا يعرف ما يقول.. وبعد هنيهة غمغم:

- لا أدري لماذا تهتم يا سيدى بهذين.. إن المشكلة الحالية بالنسبة لك هي مشكلة (التلاشي الفوتوغرافي).. وكنت...

ـ أنا من يحدد مشكلته لا أنت!

ـ أعني أنني لم أعر هذا الموضوع اهتمامًا.. و...

نهضت في عصبية، فرفعت الصينية التي كانت أمامه بما عليها من بقية زجاجة المياه الغازية.. واتجهت للمطبخ..

قال في ارتباك:
- لكني لم أفرغ بعد من...
صحت وأنا أعود، وأجذبه من ذراعه لينهض:
- لا أراك مستحقًا لشربها.. والآن دعنا نتفق على أنك شخص غير مرغوب فيه هنا، ولئن استطعت الإمساك بكذبك فلسوف أنسفك نسفا..!
وبحركة مسرحيّة أشرت للباب:
- اخرج!.. اخرج!
كاد الانفعال يدفعني إلى أن أقول له: اخرج يا عدو الله!، كما كانوا يفعلون في مسرحيات (يوسف وهبي) القديمة، لكننى تمالكت نفسي.. فاكتفيت بالمقطع الأول..

- ولا تنس هذه!

وووضعت علبة الشيكولاتة تحت إبطه، وقدته إلى الباب.. بينما هو يردد عبارات مختلطة بلا معنى ربما هي اعتذار.. أو محاولة لفهم الموقف.. المهم أنّه خرج خروجًا مهينًا.. للأسف لم أجرؤ على ركله فإن هذا كان سيريحني كثيرًا...

إن الذي يكذب عليك في وجهك عالمًا أنك تعرف كذبه، لهو إنسان فذ.. إنسان جدير بحطب جهنم..

* * *

الثلاثاء ٢٣ يوليو:

في ساعة مبكرة من النهار اتصلت بي د. (كاميليا) تسألني عن حالي، نسيت أن أقول هنا إنّها تعاني من الفراغ مثلى لأنّها تعيش وحدها.. والداها متوفيان..
وأخواتها متزوجات.. وأنا واثق بأنها هشة تمامًا تحت قناعها المتسلط الواثق من نفسه.. وأنّها بحاجة لإنسان.. أي إنسان...

- لم تذهبي للعمل اليوم إذن؟!
- اليوم إجازة.. عيد الثورة.. أم لعلك نسيت؟
- لقد فقدت اتزاني حقًا.. لم أعد أذكر من أنا..

ضحكت تلك الضحكة العالية الرنانة المميزة لهاته النسوة الهستيريات..

وقالت:
ـ ما هي أخبار التحول الشبحي؟!
ولفظت كلمة (تحول) باللاتينية (ميتامورفوزس) كعادتها، وأنا أجد هذا الأسلوب استعراض ثقافة لا أكثر.. ما هو عيب لفظة (تحول) وما الصعوبة في نطقها؟!..
قلت لها..
ـ المزيد من تساقط الجلد.. وأنباء محيرة للغاية..
ـ عن هذين الطالبين؟
- وكيف عرفت؟
- ربما منك..
ودار الحديث لفترة لا بأس بها.. لا أذكر حقًا عم تحدثنا، لكنّها كانت تسلية

معقولة..
بعد انتهاء المكالمة، دق جرس الهاتف ثانية.. لم يعد هذا البيت (سنترالًا) مركزيًا.. بل هو أقرب إلى مركز إسعاف.. فلنر من هذا المتطفل:
- صباح الخير يا (رفعت).. هذا أنا.. (رأفت).
ـ أخيرًا.؟ حسبتهم أخذوا الهاتف من دارك..
ـ ما هذا الذي فعلته مع (مدحت)؟.. لقد حكى القصة في كل مكان، والكلية كلها تتساءل عن حالتك العقليّة.. يقولون: إن ولعك بالخوارق قد بدأ يؤثر في مخك..
- لقد استحق هذا.
تنهد في صبر.. وقال:

- لم يحدث في التاريخ أن طرد أستاذ تلميذه الذي جاء يحمّل له أمنيات زملائه بالشفاء.. حتّى لو كان هذا الأستاذ هو د. (فرانكنشتاين) نفسه..

لم أرد.. فقال وهو يحاول أن يهدئ من لهجته:

ـ على كل.. حاولت أن أحسن الوضع بقولي: إن مرضك قد جعلك عصبيًا..

ـ لا بأس.. إنّها لحقيقة..

وفي هذه الثانية دق جرس الباب، فاعتذرت من (رأفت) طالبًا أن يمهلني ريثما أرى من هناك...

وأزحت الرتاج ونظرت إلى خارج الباب المفتوح..

رأيت شابًا أبيض الشعر، أحمر الجلد من ذلك الطراز الذي يسمّونه (ألبينو).. أو عدو الشمس...

وفي اللحظة التالية أدركت أنّه هو.. الذي بدأت به هذه المأساة...!

* * *



رأيت شابًا أبيض الشعر ، أحمر الجلد من ذلك الطراز الذى يسمونه (ألبينو) ..

مذكرات (آشتا)

هذا الجزء غير مكتوب على ورق، ولم يُستخدم الحبر في كتابته.. بل هو نوع من الرؤى، أو الإيحاءات التي هي إلى الهواجس أقرب..

١ - غير المدعوين..

١٨ (آشتا) عام ٣٢١٥٦٩:

ربما أنا أول مواطن من (أرض الأطياف) يجلس ليكتب مذكراته.. وهي لعمري عادة غريبة يمارسها (الماديون) أحياناً كأن حياتهم ملحمة تستحق التدوين..

متى جئت إلى هذا العالم؟.. لابد أنّ هذا حدث من زمن سحيق إلى حد أنني نسيت كل شيء عنه...

إن تاريخ شعبنا لقديم للغاية.. ربما منذ اللحظات الأولى لوجود هذا الكون نفسه..، ونحن الآن ـ في عام الوميض

٣٢١٥٦٩ـ مازلنا لا نعرف الكثير عن نشأتنا...

كل ما نعرفه أننا كنا هنا دائمًا...

نحن نعيش مع (الماديين).، جوارهم.. أمامهم.. خلفهم.. في كل مكان يذهبون إليه.. لكنهم لا يروننا.. ربما لأن هناك عيبًا شنيعًا في عيونهم، أو في قدرتهم على التخيل..

أعرف أنّهم يؤمنون بوجود الجان، ولكن أحدهم - مهما بلغ من قوة تخيّل - لعاجز عن تخيّل وجود كائنات أخرى غير ماديّة في كل موضع...

إننا نحيا في ديارهم.. لماذا نبني بيوتًا خاصّة بنا مادام هناك من فعل ذلك لنا؟..

لكم سيدهشون!.. هذا الأعزب الذي يعيش وحيدًا كذئب متفرد ماذا سيقول.. وماذا سيفعل.. لو تصوّر لحظة واحدة أنّ هناك أسرة من عشرة أفراد تشاركه السكن تحت سقف داره؟!..

حتى مواصلاتهم نركبها، ولو أنّ المواصلات لا تمثّل مشكلة بالنسبة لشعب الأطياف.. لأننا نوجد حيث نريد متى نريد...

لا مشكلة هنالك بالنسبة لشعب ينتقل عبر الأثير، مخالفًا كل القواعد الطبيعية وقوانين المادة..، لقد اقترب بعض (الماديين) من الحقيقة.. منهم (آينشتاين) الذي قال: إن الكتلة تتلاشى إذا وصلت لسرعة الضوء، و(ستيفن هوكنج) العالم

القعيد الذي تحدث عن الثقوب السوداء.. كلاهما اقترب من الحقيقة.. لكنّه لم يلمسها حقًا..

ومن الواضح طبعًا أن أحدًا من (الماديين). لم يفهم عم تحدث هذان العالمان الملهمان، وماذا أرادا قوله بالضبط.

نحن نعيش حول (الماديين) في كل مكان تقريبًا..

تعدادنا يفوق البلايين.. نعرف ونلاحظ كل شيء دون أن يتخيل أحد مجرد وجودنا...

قد يبدو هذا إلى حدٍ ما شبيها بما يقوله البشر عن (القرين).. لكنّ الموضوع يختلف تمامًا، ولعمري هذا هو ديدن

(الماديين) الدائم.. إنّهم يضعون السحر والأشباح والجان والشياطين والأرواح والتجسدات.. كلها في سلّة واحدة.. ويخافونها كثيراً!!.. بينما نحن نختلف بشدة عن هؤلاء.. وأبسط اختلاف هنا هو أن أحدًا لم يسمع عنا قط...

* * *

١٩ (آشتا) عام ٣٢١٥٦٩:

اسمي هو (آشتا).. أبي يُدعى (آشتا) وأمي تدعى (آشتا).. (آشتا) هو الاسم الذي يُطلق على كل شيء وكل فرد في عالمنا.. (آشتا) هو اسم الشهور كلها.. و(آشتا) هو اسم فصول السنة كلها..

و(آشتا) هو اسم حاكمنا.. ورئيس وزرائنا.. وكل سفرائنا..
تسألني - بعقلك المادي المتحجر ـ عن الفوارق بين كينونة وأخرى في عالمنا.. أقول لك: إننا نعرف ما نتكلم عنه.. لأن الكلام ليس من عيوبنا.. إن وجودنا هو وجود الأفكار ذاتها.. (التخاطر) - كما تسمونه ـ هو لغتنا الوحيدة.. وحين أفكّر في حبيبتي (آشتا)، يكون الجميع على علم بمن أعنيه بـ (آشتا).. لأن الجميع يرون صورتها في أذهانهم.. والآن دعني أقص عليك تفاصيل يوم في حياة رجل من (أرض الأطياف).
أعيش هذه الأيام في دار مستشار متقاعد.. عجوز لطيف المعشر رقيق

الحاشية.. يقضي سنوات ما بعد المعاش في مشاهدة التلفزيون بعد ما تزوج أطفاله، ونسوا أمره تمامًا.. وتوفيت زوجته.. وهو الآن ينتظر النهاية في صبر...

لكن هذا الرجل الذي لا يخشى الموت، سيموت هلعًا لو عرف أنّ هناك من يشاركه المسكن.. بل والفراش ليلًا..!

نعم.. أين تتوقع مني أن أنام مادام بالبيت فراش واحد!!.. صحيح أن الرجل يغط في نومه كضفدع.. وصحيح أنّه يدخن كثيراً، لكني أتحمل كل هذا...

أصحو في الصباح لأقرأ الصحف معه ـ من فوق كتفه - وأنا سعيد لبطء قراءته..

ثم يجلس إلى مائدة الإفطار، فأجلس معه..
وهنا الفارق الهائل بين (الماديين) والأطياف.. (الماديون) يلتهمون الفول والطعمية والجبن، بينما نحن الأطياف نلتهم الأفكار المنسية والذكريات.. هذا الركام الذي ينساه (الماديون) في أركان عقولهم هو طعامنا..
لهذا نحن مولعون بالأشخاص ضعاف الذاكرة، فهم يقدمون لنا طعامًا روحيًا لا ينفد.. أحيانًا تكون الأفكار فاسدة أو مسمومة من ثم نصاب بنزلة معوية حادة.. (كدت ألقي حتفي ذات مرّة حين أكلت أفكار أحد الصحفيين المشاهير!)..

وحين ينهض مضيفى من المائدة.. أكون قد امتلأت حتّى التخمة.. ويكون هو قد نسى شيئًا جديدًا...

ويفكر الرجل في الخروج لرؤية الشمس بالخارج..

هنا أكف عن ملاحقته..

فالشمس هي عدونا الأزلى، وهي قدس الأقداس بالنسبة لنا.. لقد خاف المصريون القدماء التمساح.. وربما لهذا عبدوه وجعلوه ينتظر الخطاة ليلتهمهم في العالم الآخر يبدو أن شعب الأطياف فعل ذات الشيء.. كنا نخاف الشمس لأنّها تبددنا وتحرقنا.. من ثم حرمناها على أنفسنا.. لكننا بجلناها واحترمناها..، وفي عقيدتنا أن من يتكلم

عن الشمس يُنفى إلى عالم الضوء (سو) إلى أبد الآبدين..

لهذا يعيش شعب الأطياف حياته كلها في الغرف المغلقة المظلمة.. أو في ضوء (النيون) المعقم البارد لكنني كنت أشعر بعدم الراحة..

كنت بحاجة إلى أن أعرف أكثر...

يقول (الماديون) في أساطيرهم: إن (برومثيوس) البطل الإغريقي كان متشوقًا إلى معرفة سر النار.. النار المقدسة التي تشتعل في جبال (الأوليمب).. لهذا سرق قبسًا منها، وعلّم البشر جميعًا كيف يصنعون النار..

(والنار هنا طبعًا هي رمز للمعرفة).. من ثم انتقم منه سادة (الأوليمب) بأن أرسلوا

إليه (بندورا).. المرأة الفاتنة.. المرأة الفضولية التي جلبت الوبال على الجميع..

أعرف هذه الأسطورة لأنني قرأتها في كتاب نسيه مضيفي مفتوحًا على مكتبه..

كنت أنا ـ مثل (برومثيوس) - ظامئًا إلى المعرفة.. ظامئًا إلى سر النار المقدسة: الشمس...

وكانت لدي (بندورا) أنا الآخر.. هي (آشتا)...

هل أصفها لك؟.. تريد ذلك؟.. هأنتذا تنسى يا صديقي أننا غير ماديين.. وأنّه من المستحيل أن أقول لك: إن شعرها كان لونه كذا.. وعينيها كان لونهما كذا.. و... و...

كانت طيفًا.. طيفًا رقيقًا.. أفكارها رطيبة منعشة كالنعناع (هل يقرب هذا الصورة من ذهنك؟.. كل (الماديين) يحبون النعناع).. وكانت لي وحدي.. لي منذ الأزل..

كل شيء كان يؤكد أنني و(آشتا) سنمتزج الامتزاج المقدس النهائي، الذي تنبعث منه أضواء وليدة تغدو أطيافا أخرى.. الكل كان يبارك امتزاجنا..

(آشتا) و(آشتا) و(آشتا) و(آشتا) و(آشتا).. حتّى (آشتا) وافق بعد تردد على امتزاجنا..

الليلة ألقاها في حديقة الحيوان.. وأبثها عواطفي.

* * *

الظلام يسود حديقة الحيوان.. إنّه منتصف الليل.. زئير النمور يتعالى في أقفاصها.. هذا طبيعي.. فالحيوانات ترانا بوضوح تام.. إن القطط تموء حين ترانا وتنظر لأعلى.. والكلاب تتوتر وتصدر زئيرا مكتومًا..

لا أحد من البشر هنا..، وحبيبتي (آشتا) قادمة تنساب فوق الأعشاب.. نحوي.. أشعر سرورًا في روحها.. وألقاها بمثله:

- ....

- ....!

آه!.. معذرة!.. نسيت أننى أحدث الأميين الذين لا يجيدون قراءة الأفكار.. ليكن.. سأحاول أن أترجم الحوار لكم:

- حبيبي (آشتا)!..

ـ حبيبتي (آشتا)!..

- متى يكون الامتزاج النهائي؟.. إلى متى نعيش في دارين متباعدتين؟

ـ حينما يقرر (آشتا) الأكبر ذلك..

تقول وهي تفكر في أشياء مبهجة للغاية:

- سئمت الحياة مع هذه (المادّيّة) الكريهة التي أقطن دارها.. إنّها لا تكف عن قراءة مجلات الموضة، ووضع المساحيق على وجهها أمام المرآة.. لماذا



لا أحد من البشر هنا ..، وحبيبتي (آشتا) قادمة تنساب فوق الأعشاب ..

تعتقد أن جسدها يستحق كل هذه العناية لمجرد أنّه ذو كتلة ماديّة؟!.. ثم هي تكذب.. وما إن تخلو بنفسها حتّى تتحول إلى شيطان...

- آه يا ملاكي!.. إن في حوزتنا من أسرار البشر ما يكفي - لو أعلن - لانتحارهم جميعًا ثلاث مرّات..

قالت وهي تفكر في الجمال المطلَق:

- حين نمتزج سنذهب لنعيش في فندق من ذوي النجوم الخمسة.. لابد أنّ هناك حجرة خالية من الأطياف.. في أحد الفنادق..

- للأسف إن هذا العالم مزدحم بالجان والأروح والشياطين - إلى جانب البشر طبعًا ـ إلى درجة أنّه لا يوجد موطئ

لقدم.. كيف لو عرفت (الماديّة) التي تعيشين عندها أن غرفة نومها يغفو بها عشرة آلاف مخلوق غير مرئي؟!..

- آه!.. ستموت هلعًا بالطبع.. فلن يضايقني هذا كثيراً..

قلت لها وأنا ألمس كيانها فينبعث ذلك الضوء الأخضر الغامض الذي حير العلماء.. فتارة سموه (ضوء سانت إلموس) في المناطق القطبية.. وتارة حسبوه ضوء حشرات مضيئة، ولم يعرفوا أنّه ضوء الحب.. قلت لها:

ـ إنني أعتزم القيام بمشروع غير عادي..

- وماهو؟

- أريد أن أعرف المزيد عن الشمس!.. أن أراها!

ـ هل جننت يا (آشتا)؟... كيف تجرؤ على لفظ كلمة شمـ... أعني قدس الأقداس!

- لا يمكن أن أعيش حياتي دون أن أفهم ما هي..

- ستحرقك بنيرانها.. ستتلاشى..

- ومن أدراك أنّ هذا يحدث؟.. علمونا هذا منذ الصغر. ولكن أحدًا لم يجرؤ على المحاولة..

- لقد فقدت صوابك!

- أريد أن أفعل مالم يفعله السابقون.. لأكون جديرًا بك وموضعًا لفخرك الدائم ..

- لن أفخر بك وأنت تخالف قانوننا الأزلي..

قلت لها وأنا أتأهب للرحيل:

- غدًا في الصباح الباكر أخرج إلى الضوء.. لأرى الشمس وأنعم بها.. فلئن هلكت فعزائي أنني هلكت وأنا أعرف..

وابتعدت عن مجال أفكارها...

* * *

٢٠ (آشتا) عام ٣٢١٥٦٩:

اليوم قد يكون آخر أيام حياتي، وقد يكون أهمها..

اليوم أعرف إلى الأبد ما تعنيه لفظة (شمس).. اليوم أتسلل عبر خصاص

النافذة المغلقة إلى الخارج.

ومثلما فعل (برومثيوس).. أضحي بحياتي من أجل المعرفة..

(برومثيوس) قضى بقية حياته معلقًا بين جبلين يلتهم الرخ كبده في كل يوم.. وفي الليل ينبت له كبد جديد... لتتكرر المأساة... ماذا سيحدث لي أنا...؟

❋ ❋ ❋

٢ - المارق...

٢٠ (آشتا) عام ٣٢١٥٦٩ [بقية]:

(سو)!.. (سو)!..

الضوء الساطع الذي جعلونا نخافه ونحتقره.. (سو)! القرص الذهبي المشتعل يسكب حنانه ودفأه فوق الأرض الثكلى..

لم أحترق.. لم أتلاش.. فقط عرفت السر.. فهمت حقيقة هذا الكون.. الإحكام المطلَق في كل شيء.. الخالق الأعظم سخّر هذا القرص؛ كي يهب الأرض الحياة.. إن هذا...

وفي لحظة تالية تلاشى كل شيء..

وجدت نفسي أقف في قاعة شاسعة ملأى بالبشر الذين يتناقشون في قضية ما..، ووجدت حولي عشرات الأطياف تحيطني..... وفي ذهنهم سمعت لفظة واحدة: العقاب!..

وعرفت أين أنا.. أنا في قاعة بمبنى الأمم المتحدة يتخذها شعب الأطياف للمحاكمات الكبرى..

وكان البشر غارقين في جدل شديد حول حرب (فيتنام) وإلزام الحكومة الأمريكية بالانسحاب.. في نفس وقت محاكمتي..

أما نحن الأطياف فكان حوارنا الفكري مختصراً:

- أنت يا (آشتا) خرقت قانون الأطياف.. وتحدّثت مع (آشتا) عن الشمس.. بل وحاولت رؤيتها..!

- كنت أريد أن أعرف.. وعرفت.. وهأنذا لم يصبني ضرر

ـ لقد هدمت قدس الأقداس عندنا..

وهنا صاح أحد البشر في هستيريا:

ـ إن حكومة (سايجون) تحاول تبرير إمبرياليتها!

- أنت يا (آشتا) قد خرقت القانون عمدًا.. وجريمتك لا يمكن الدفاع عنها أو تفنيدها..

البشري مازال يصيح في البشر الجالسين حوله:

ـ نعم.. جريمة لا يمكن تفنيدها..!

- لهذا يا (آشتا).. عقوبتك هي النفي مع (آشتا) التي شاركتك التآمر.. النفي إلى عالم الضوء (سو) بلا رجعة.

- هذه الصور تثبت تورط السوفييت في مهاجمة القوات الأمريكية!

ـ ستكتسب أنت و(آشتا) مظهرًا ماديًا هشًا.. وتعودان إلى العالم المادي لتعيشا هناك.. أنتما لن تعودا طيفين.. ستفقدان (لاماديتكما) إلى الأبد...

ـ الرحمة يا (آشتا) الأكبر!.. ليس هذا!.

ولكن (آشتا) الأكبر كان صارمًا...

ولمحت (آشتا) العزيزة.. أفكارها ملأى بالهلع والتوسل.. كانت تتألم.. وعرفنا أننا سنصير بشرًا.. وأن أحدًا لن يرحمنا...

* * *

الأحد ٥ يونيو:

تم التجسد في إحدى الحدائق العامة.. وكان الوقت ليلًا..

الجسدان اللذان اختيرا لنا يمثلان شابًا وفتاة على قدر لا بأس به من الوسامة.. لكنّ - للأسف - حدث خلط في أصباغ الفتى، من ثم جاء شاحب البشرة.. من النوع الذي يسميه (الماديون) عدو الشمس.. أمّا (آشتا) فكان تجسدها موفقًا..

ووقفنا نرمق جسدينا في حيرة.. للمرة الأولى أرى (آشتا) الفكرة المجرّدة، وقد صارت فتاة جميلة.. كيف عرفت أنّها

جميلة؟.. لا أدري.. يبدو أنني فقدت (لاماديتي) للأبد حقًا...
كانت تبكي وتولول.. لم لا؟..
لقد كانت الأحداث عاصفة.. منذ ثانية كنا في اليوم العشرين من (آشتا) عام ٣٢١٥٦٩.. واليوم نحن في اليوم الخامس من يونيو عام لا أدري كم بالضبط..
أنا من جلب لها هذا الوبال... البائسة!..
على أننا كنا بحال طيبة.. المشكلة الوحيدة هي أننا نعرف حدود هذين الجسدين اللذين يغلفاننا..

أولًا: لا تترك هذه الأجساد ظلًا..
ثانيًا: لا تظهر هذه الأجساد في الصور الفوتوغرافية [حاليًا يحاول العالم العظيم (آشتا) أن يحلّ هذه المشكلة بتطوير نوع الأنسجة التي تحيط بالطيف.. لكنّ أحدنا لن يستفيد من هذا الاختراع!].
ثالثًا: لا تحتمل هذه الأجساد الشمس بصورة مطلقة.. إن الشمس الساطعة تجعل جلدنا يحترق.
رابعًا: تحتاج هذه الأجساد إلى طعام، ولا يمكنها التنقل بحرية كما كان متاحًا لها..
خامسًا: يمكن جعل هذه الأجساد غير مرئية لبرهة محددة.. وهذا يفيد في وقت



الجسدان اللذان اختيرا لنا يمثلان شابًا وفتاة على قدر لا بأس به من الوسامة ..

النوم أو الراحة، فلن نكون بحاجة إلى مسكن.. إن أي مكان يناسبنا..

* * *

الثلاثاء ٧ يونيو:
نحن في القاهرة.. المكان الذي كنا نعيش به ونحن طيفان.. لكنّ من أين نبدأ الحياة إذن؟...
نحن نعرف الكثير عن البشر.. فنحن نراقبهم طيلة حياتنا.. إن سننا ومظهرنا لا يصلحان إلا للتصنيف تحت قائمة واحدة: طلبة الجامعة.. لهذا.. ولنتمكن من ممارسة حياة طبيعية في هذا العالم المروع، لابد أن نلتحق بجامعة ما.. ونزعم

أننا زوجان.. هذه هي الطريقة الوحيدة كي نبرر عزلتنا الدائمة.. كون (آشتا) متزوجة سيحميها من ملاحقات كل الأوغاد الذين يظنون أنّهم ذوو فتنة.. وكوني متزوجًا سيفسر عدم رغبتي في مصادقة أحد...

قمت بتزييف أوراق تقول: إننا طالبان في كلية طب (...)، إن كل شيء هين بالنسبة لمن يستطيع أن يكون غير مرئي..

وبدأنا نحاول الاندماج في الحياة الجامعية..

حاولنا أن نقنع أنفسنا بأننا سعيدان بكوننا (ماديين).

ولكن يا لفضول هؤلاء القوم..!

في كل مكان تذهب إليه، تجد عشرات العيون الفضولية ترمقك في غير ود.. فأكاد أصرخ: ماذا تريدون منا أيها الأوغاد؟!

تدخل إلى مكان ما فيرمقونك في ذهول، ولسان حالهم يقول:

تبًّا!.. إنّه يدخل!..

ثم تجلس فترى العيون تكاد تثب من محاجرها، لسان حالهم يقول: ياللهول!.. إنّه يجلس أيضًا!.. أية جرأة!

أمّا تناولك لمشروب غازي فإنّه يجعلهم يموتون من الذهول، وهم لا يصدقون أنك قد بلغت هذا المدى البعيد!

لماذا لا تتركوننا وشأننا أيها الحمقى؟!..

* * *

الخميس ٩ يونيو:

الفضول يغمر الجميع في الكلية بشأننا.. أحد الطلبة المولعين بالتدخل فيما لا يعنيهم جاءنا يعرض خدماته، لكنّه في الواقع يحاول معرفة (كنهنا) بالضبط.. عرفت أن اسمه (مدحت)...

قال لنا: إنّ هناك رحلة تقوم بها الكلية إلى القناطر الخيرية يوم السبت القادم، وأصر على أن نشترك معهم، لأننا ـ كما قال ـ نبدو أميل إلى الانطوائية، والانطوائية - كما قال - هي فطر سام يذبل في النور والهواء...

سألت (آشتا) بالتخاطر الذي لم نفقده بعد:

ـ ما رأيك؟

ـ لم لا؟.. يجب أن نندمج في هذا العالم بأي ثمن.. نحن لم نعد من شعب الأطياف.. لابد لنا من مكان ما.

ووافقنا على الرحلة.. كنا نستشعر الوحدة.. فقد حرمنا من رؤية الأطياف الأخرى للأبد برغم أننا نعرف أنّهم يروننا.. ويحيطون بنا طيلة الوقت..

ترى ماذا يقولون عنا الآن..؟

* * *

السبت ١١ يونيو:

كانت تجربة مريرة، الجلوس في حافلة يملؤها الصخب، وضجيج البلهاء.. وعرفت و(آشتا) أننا لن نتأقلم مع هذا العالم أبدًا.. إلا أننا شعرنا بارتياح لمشرف الرحلة.. وهو أستاذ جامعي يُدعى (رفعت إسماعيل). رجل نحيل كالأفاعي.. كئيب متعكر المزاج كخرتيت.. يدخن بإفراط كبركان...

كان يجلس وحيدًا يرمق كل هذا في اشمئزاز..

وشعرنا أننا ـ على الأقل - وجدنا واحدًا يشاركنا مشاعر الغربة..

لكن ظننا خاب حين وصلنا إلى مقصدنا..

فقد تكشف هذا الرجل عن فضولي غير عادي، لا يكف عن مطاردتنا بنظراته كلما ذهبنا هنا أو هناك..

وازداد الأمر سوءًا حين أخرج كاميرا فوتوغرافية، وشرع يحوم حولنا كقط حذر..

وأدركت مقصده على الفور.. إنّه يحاول أن يلتقط صورة لنا لغرض في نفسه!.. يجب منعه بأي ثمن.. وإلا سيفتضح أمرنا تمامًا.. محاولات عديدة بذلها.. ومحاولات عديدة فررنا بها. لكنّ فرارنا لم يزده إلا إصرارًا..

وجاءت اللحظة التعسة حين نجح في اقتناص صورة لنا، من وراء كتف طالب كان يخفيه عنا.. يا للكارثة!

قالت (آشتا) في هلع:
ـ انتهى الأمر.... لن يجدنا في الصورة، ولسوف تتراكم علامات الاستفهام حولنا.. لم تعد حياتنا ممكنة هنا.. فلنرحل..
- اصمتي يا (آشتا).. إن هذا الرجل سيدفع ثمن فضوله غاليًا..
وخطرت لي فكرة..
إن جسدينا يتكونان - تحت الجلد. - من طاقة.. طاقة ذات إشعاع يمكنه أن يؤثر في الفيلم.. إن صورتنا ستنطبع على الفيلم.. لكنّ بشريًا لن يراها.. لن يراها سوى كيان طيفي.. سوى كتلة من الطاقة..

لو أن (رفعت) هذا بدأ يتحول الي طيف، فإنّه سيبصر صورتنا على الفيلم دون جهد.. وفي ذات الوقت ستبدأ تغيرات غير مفهومة تصيبه.. ربما يجن.. ربما يفقد صوابه.. لا يهم.. لقد كان هو البادئ بالعدوان.. فلنبدأ انتقامنا.. الآن يا (آشتا).

وفي رحلة العودة بالحافلة ظللت و(آشتا) نواصل ما بدأناه.

تشابكت كفانا وشرعنا نوحد طاقتنا كي نزعزع كتلة خلايا هذا الرجل.. ببطء يتخلى عن ماديته ويغدو مثلنا.. مجرد صورة لا أكثر.. لكنّه لا يشعر بهذا..

وعرفنا أنّه حين يطبع الصور سيجد صورتنا واضحة أشد ما يكون الوضوح،

لكنّ أحدًا سواه لن يراها.. لا بأس..
لن يدفعه هذا إلى الشك فينا.. بل سيشك في قواه هو العقليّة..

* * *

الاثنين ١٣ يونيو:
لم تنته المفاجآت الأليمة...
اقترفت (آشتا) خطأ جسيمًا في إحدى المحاضرات الختامية للعام، حين سألت المحاضر عن معنى لفظة (رئة) الإنجليزية..
وللحظة ظنها الرجل تمزح.. ثم أصابه الذهول.. وراح يردد:

- طالبة في السنة الثالثة بكلية الطب.. ولا تعرف أن (لانج) معناها رئة!.. إن هذا ليس جهلًا.. بل هو يدخل في نطاق الجريمة.. من أين أتيت يا دكتورة؟.. من المريخ؟.. هل أنت واثقة من أنك معنا هنا؟

بدا لي الرجل موشكًا على الإصابة بنوبة قلبيّة..

لكن المشاكل لم تنته..

فبعد المحاضرة فوجئنا بالطلبة يحتشدون حولنا ليمنعونا من مغادرة القاعة.. ورأيت المدعو (مدحت) يتقدم منا وفي عينيه نظرة عداء واضحة.. وسمعته يهتف:

- هذا حق.. من أنتما؟!

تعالى صوت طالب منهم:

- أمس سألته عن رأيه في مباراة (الأهلي والترسانة).. كل مخلوق في مصر تابعها أو سمع عنها.. أما هو فلم يعرف أصلًا أن هناك مباراة.. أكاد أقسم إنّه لم يسمع عن لفظة (أهلي) من قبل!

كان يتحدث عني.. وتعالى صوت رفيع لطالبة تقول:

- أما هي.. فلا تعرف شيئًا على الإطلاق.. لم تفهم معنى (ساتان) ولا (أورجانزا) ولا (بيديكير).. حتّى حين سألتها عن (الكوافير) الذي تتعامل معه تساءلت في حيرة: هل تعنين حاكم الإقليم؟!

قال (مدحت) وهو يكشر عن أنيابه:

- هذا هو السؤال.. من أنتما؟ هل أنتما جاسوسان إسرائيليان؟
- ربما هما من المريخ كما قال د. (محمود)؟
ـ أو طالبان مزيفان من هواة الطب..
كان الموقف يزداد سوءًا.. من الواضح - كما تنبأت (آشتا) - أنّه لا وجود لنا ولا مكان في هذه الكلية...
- (آشتا).. يجب أن نرحل..
- أنا معك.
تبادلنا هاتين العبارتين عبر سيل أفكارنا، الذي لم يسمعه هؤلاء..
- لكنّ يجب أن نمحو كل أثر لنا في عقولهم...

- تعني أن نلتهم كل هذا الكم من الأفكار؟.. سنصاب بتخمة..
- هذا هو الحلّ الوحيد..
وشرعنا نستخدم موهبتنا الطيفية...
شرعنا نبتلع كل الذكريات بخصوصنا من عقول حشد الطلبة المحيط بنا..، وحين انتهت مهمتنا كان كل واحد منهم يرمق الآخرين بنظرات زائغة.. وقد نسى كل شيء عن السبب الذي احتشدوا من أجله..
وانتهزنا الفرصة لنختفي عن عيونهم، قبل أن يرونا.. فيتذكرون..

* * *

الثلاثاء 14 يونيو:

قر قرارنا على الاستقرار في إحدى الجامعات الإقليمية، وفي كلية أخرى غير الطب.. فنحن لم نكن يومًا ممن يجيدون الإنجليزية أو اللاتينية.. على أننا شعرنا أنّ هناك شيئًا يتحتم علينا عمله قبل أن نرحل..

فمادام أمرنا قد افتضح، وانهارت خططنا في هذا المكان، فلم يعد هناك داع لكي نترك د. (رفعت إسماعيل) في طور اللامادية الذي يمرّ به.. لسوف يتعذب المسكين كثيراً.. خاصّة حين يفقد تحمله للشمس (سو) ويحترق جلده.. ويغدو عدوًا للشمس مثلنا..

وهذا أمر متوقّع خلال شهر أو أقل...

إذن علينا أن ننتزع منه ما منحناه إياه من طاقة..

عرفنا عندئذٍ أن الرجل قد سافر إلى (الولايات المتحدة).. وأنّه سيبقى هناك شهراً أو أقل قليلًا...

سيكون علينا أن ننتظره حتّى يعود كي نحرره...

* * *

الثلاثاء ٨ يوليو:

لقد عاد د. (رفعت إسماعيل) اليوم.. هذا حسن.. لقد مرّت رحلة (الولايات المتحدة) بسلام إذن، ولم يلتقط له أحد صوراً.. المفترض منا الآن أن نحرره دون أن

يشعر هو بذلك.. لابد من عدد من اللقاءات الدانية معه تتيح لنا انتزاع طاقته.. ولكن كيف؟...

وكانت (آشتا) تملك الجواب...

الفتاة التي كانت (آشتا) تعيش معها عندما كنا في عالم الأطياف، هي أستاذة فلسفة عانس تدعى (كاميليا)..

وكانت (آشتا) قد درستها تمامًا.. عرفت كيف تتكلم.. كيف تلبس.. كيف تضع (الماكياج).. بل عرفت حتّى طريقة تفكيرها وأسلوب حياتها...

وخطرت لنا الفكرة المجنونة.. (آشتا) تتنكر لتبدو كالأستاذة.. (وهذا هيّن كل مع المساحيق التي تضعها هذه) وتذهب لتتعرف الدكتور (رفعت)..

وعن طريق لقاءات متعددة تتمكّن من استخلاص طاقته.. ولكن متى وكيف؟.. هذا هو السؤال...

* * *

الاثنين ١٤ يوليو:

الأمور تسير على ما يرام...

كنت قد قابلت بالصدفة - منذ ايام - رجلًا يدعى د. (محمد شاهين) يزور (كاميليا) في مكتبها.. وعرفت بالصدفة أنّ هذا الرجل هو صديق قديم لـ (رفعت إسماعيل)...

هذا رائع!.. سيكون هذا الرجل هو حلقة الوصل التي أريدها..

زرته في مكتبه، وقلت له: إنني صديق قديم وقريب لـ (رفعت).. وأن الجميع قلق، لأن قطار الزواج سيفوت هذا المخبول... ثم قلت له: إنني أرشح د. (كاميليا) لتكون مدام (إسماعيل)..

تحمس الرجل للفكرة، وأدركت أنّه طيب القلب إلى درجة البلاهة.. فطلبت منه أن يبقى الأمر سراً بيننا، على أن يفاتح د. (رفعت) بالأمر كأنه عارض.. ومن بنات أفكار د. (محمد) وحده..

وفي نفس الوقت كانت د. (كاميليا) قد سافرت إلى (الإسكندرية) في رحلة قصيرة. وصارت دارها الخاوية ملكًا لي و(آشتا).. وهكذا صار لنا بيت وفراش وثلاجة وحمام...

وفي هذا البيت شرعت (آشتا) تستعد لكي تلعب دور د (كاميليا) حين يأتي (رفعت) ليراها غدًا..

كان الماكياج متقنًا، ومع المساحيق، والجمة كستنائية اللون، والمنظار الأنيق، والتايور الرمادي المميز لـ (كاميليا)، صار الشبه تامًّا.. خاصّة و(رفعت) لم يرها من قبل.. و(محمد شاهين) لا يرى أبعد من مترين.. أمّا بالنسبة للباقين في القسم، فمن قال: إن هذه هي د. (كاميليا)؟!.. إنّها دارسة نهمة للفلسفة لا أكثر...

* * *

الثلاثاء ١٥ يوليو:
تم اللقاء الأول ...

* * *

الجمعة ١٩ يوليو:
تم اللقاء الثاني في (كافتريا).. وحاولت (آشتا) أن تكون (كاميليا) تمامًا في كل شيء... لم يشك (رفعت) في أمرها.. لكنّ المهمة كانت أعقد مما تصورت.. يحتاج الأمر إلى كثير من التركيز لإنهاء هذه اللعنة التي تطارد (رفعت)..
المشكلة أنّها لن تستطيع ممارسة هذا التركيز دون أن تثير ريبته..



كان الماكياج متقنا ، ومع المساحيق ، والجمة كستنائية اللون ،
والمنظار الأنيق ، والتايور الرمادى المميز لـ (كاميليا) ..

* * *

الثلاثاء ٢٣ يوليو:

لن تطول المهزلة أكثر من ذلك..

عرفت أن (رفعت) ملأ الدنيا صراخًا، وقد بدأ الناس جميعًا يتحدثون عن خباله، وتبدل طباعه.. وأنّه طرد الطالب الذي زاره حاملًا هدية الطلبة من أجل مرضه..

يجب أن ننهي عذاب هذا البائس حالًا، خاصّة أنّه عذاب بدون جدوى...

وفي الصباح توجهت إلى داره...

وقرعت جرس الباب في تصميم...

* * *

[عودة إلى مذكرات د. (رفعت)]

٧ - أطياف!

الثلاثاء ٢٣ يوليو [بقية]:

انتهى الفتى من سرد قصته، وراح يرتقب الانفعالات التي سيأتي بها..

لكنني ظللت أرمقه في تراخ.. عاجزًا عن قول شيء.

قال لي وعلى شفتيه تتلاعب ابتسامة خافتة..

- ألن تلومني؟.. ألن تقول لي كم أنت محنق؟!

فتحت فمي.. وبصعوبة خرجت الكلمات:
- ود. (لوسيفر)..؟.. لقد كانت قصته أقرب إلى الصواب من كل شئ.. هل هذا الرجل....؟!
وصمت.. لكنّ الفتى أدرك ما أردت قوله..
قال في هدوء:
ـ إن د. (لوسيفر) - كما تسمونه ـ يعرف حقيقة وجودنا، وقادر على الاتصال بنا.. وأعتقد أن القصة كلها وصلته بشكل ما..
ثم أردف، وهو ينظر في عيني:
ـ إن ما قاله لك (لوسيفر) لم يكن رجمًا بالغيب.. بل كان يتحدث عن حقائق

يعرفها.. وبالمناسبة: نحن نَسمّيه (هو)، وهناك من يسموّنه (خريولسن)..
ـ إن ما تقوله لغريب.. غريب حقًا.. حتّى إنّه يتجاوز قدرتي على الحكم الأخلاقي على الأمور.. لا أدري ما إذا كان كل هذا يدعو للحنق أم لا , لكنني غير قادر على الغضب..
ضحك الفتى - الذي لا أعرف كيف أناديه - وقال:
ـ هل لديك أسئلة أخرى؟
قلت وأنا أقذف بعض حبات النعناع إلى فمي:
- الواقع أنّ هناك احتمالًا لا بأس به في كونك تخدعنى.

- وكيف لي أن أعرف كل شيء عن مشكلتك.. وعن د. (كاميليا).. وعن د. (لوسيفر)؟.. وعلى كل حال.. الأمر هين..

ومد يده نحو مفتاح النور.. فأضاءه.. وعلى الفور غمر الضوء الحجرة.. وسار بتؤدة ليلامس الجدار..

قال وهو يجذبني لأقف جواره:

- انظر إلى ظلي.. وظلك..

نظرت إلى الجدار.. فوجدت ظلي الأصلع النحيل ينظر مشدوهًا أمامه إلى... إلى لا شيء...

إن الفتى لا يترك أي ظلّ على الجدار..!

- هل رأيت؟.. إن الضوء يمرّ عبر قناعي المزيف دون جهد.. ولهذا لا تنعكس صورتي على الأفلام...

- ولـ.. لماذا أرى أنا ظلي ما دمت مثلك؟
رفع كفه في كبرياء:
- لحظة من فضلك.. لست مثلي.. بل أنت في الطريق لذلك.. ولو أنني تركتك وشأنك لصحوت بعد شهر من النوم لتجد أنك لا تترك ظلاً..
ثم إنّه قادني عائدًا بي إلى الأريكة.. وجلس، وجلست.. وقال وهو يخلع حذاءه ويتربع جالسًا:
ـ والآن - وقد زالت الشكوك جميعًا ـ أرى أن تمنحني تفكيرك وكيانك كلّه يا د. (رفعت).. سأعمل الآن على شفائك من وصمة (التلاشي الفوتوغرافي) هذه...
ـ أكون شاكرًا لو أسرعت...
أمسك بيدي وأغمض عينيه...

* * *

أنا أحلق فوق المحيط بأجنحة من شمع مثل (إيكاروس).. الشمس.. لا أريدها!.. إنّها ستذيب أجنحتي.. إنّها ستجعلني أهوى من عل...

(إيكاروس) مات لأنّه دنا كثيرًا من الشمس.. من الحقيقة.. وأنا مثله أقترب.. وأقترب. دون أن أستطيع المقاومة..

أطياف في كل مكان.. أطياف تتأملني وتضحك.. برغم هذا أنا عاجز عن رؤية ملامحها..

زجاجة العصير انسكبت.. لكنّ النمر لم يلحق بالغزلان..، (آشتا).. (آشتا)..

تناديك من الثقب الأسود.. القزم الأخضر لن يلبث طويلًا حتّى يتحول إلى ثقب.. ثقب أسود كبير.. لماذا لم يجروا لي جراحة اللوزتين؟.. ربما لأن (قابيل) قتل أخاه.. لو لم ير الغراب لما عرف كيف يواري سوأة أخيه..

السماء تتحول إلى خنجر عملاق يهوى فوق صدري.. وأنا ممدد على الكلأ مقيدًا بلا حيلة..

سيخرج هذا الخنجر كل الدماء الفاسدة.. كل الأوهام.. ربما يستأصل لي اللوزتين أيضًا.. (بو) كان يعرف كيف يفزعني.. والآن مات (بو).. فمن سيفزعني بعد هذا؟..

و (كاميليا) لها صوت رجل.. ترى هل هي تملك أحلامًا أنثويّة؟.. هل تحب الزهور والربيع؟.. السير (ماكيلوب) يرفع البوق إلى شفتيه.. وعما قريب يخرج وحش (لوخ نس) من البحيرة..
لا!.. ليس (ماجي)..... النبات المشئوم يمد سيقانه ليمتص دمائي.. إن (براكسا) تريد جسدى لتعيش فيه.. الاستحواذ.. (أينشتاين) كان عبقريًا.. و...
هوذا الثقب الأسود.. ليس ثقبًا وليس أسود.. إنّه مجرد باب يقود إلى بعد آخر.. وعلى جانبه يقف (آشتا) ملوحًا بذراعه اليمنى لي.. لا أرى ملامحه.. فقط ظله.

ـ هل حقًا انتهيت يا (آشتا)؟..
- نعم يا د. (رفعت).. أنت الآن حر.. لقد استرددت ماديتك.. وما أغربه من ارتباط!.. من المعتاد أن الحرية تعني الخلاص من الماديّة..
- وهل.. هل سأظهر في الصور؟..
- بالتأكيد.. وسترى الشمس دون وجل...
- وهل ستلتهم ذكرياتي عنكما.. وعن شعب الأطياف؟
- كان هذا منطقيًا يا د. (رفعت).. لكننا لن نفعله.. لقد وجدنا في رأسك عقلًا يمكنه استيعاب الفكرة.. عقلًا يمكن أن يحتفظ بالأسرار.. عقلًا شريفًا.. ولا نطلب منك سوى وعد بأن تحفظ سرنا..

- ولكن... أليس من الأوفق والأسلم أن تزيلوا ذكراكم من عقلي؟
- بالعكس.. نحن بحاجة إلى (الماديين).. يجب أن نتعلم منهم أكثر حتّى لا تحدث أخطاء جديدة..، ستكون أنت صديقنا الوحيد من بينهم..، ولك أن تتوقع زيارات أخرى منا..
ـ إذن أنا حلقة الوصل ما بين العالم المادي وأرض الأطياف؟..
ـ نعم.. لو افترضنا أنني و(آشتا) مازلنا طيفين..
والآن.. لا تضعف يا د. (رفعت).. لقد تركت في عقلك الباطن نسخة من مذكراتي.. وحين تصحو ستجد الأحداث

هنالك.. لكنّ لا تضعف.. أريد أن تقسم أنّ هذا سر بيننا...

ـ أ.. أقسم أن...

ـ هيّا يا د. (رفعت).. إنني أنتظر...

ـ أ.. أقسم أن أحفظ السر..!

- حسن يا د. (رفعت).. أعرف أنّه بإمكاني أن أثق بك.. والآن يُمكنك أن تترك نفسك لأمواج النعاس اللذيذ التي تتقاذفك.. فكر في جزيرة بالمحيط بها كوخ..، الكوخ مصنوع من (البامبو)... داخل الكوخ يوجد بحار عجوز.. وببغاء.. وقيثار.. و...

* * *

كم الساعة الآن؟..

لقد جاء الليل.. غريب هذا!. إن رأسي يعجّ بالخواطر والأفكار.. لهذا جلست لأكتبها قبل أن تذوب كالآيس كريم.. أفكار هي أشبه بكيس مليء بالبيض الطازج.. لو لم أخرجها فورًا فلسوف يهشم بعضها البعض...

وقد انتهيت الآن فقط من كتابة مذكرات اليوم الثالث والعشرين من يوليو أهم يوم في حياة مصر.. وأغرب يوم في حياتي الخاصّة..

* * *

الأربعاء ٢٤ يوليو:

ظللت حبيس الفراش طيلة اليوم لا أجرؤ على الخروج إلى ضوء الشمس.. لا أدري ما هو صواب وما هو وهم...

* * *

السبت ٢٧ يوليو:

للأسف.. الشمس غائمة اليوم.. لن أعرف الحقيقة أبدًا.. مدفوعًا بفضول لا يهمد اتجهت إلى كلية (الآداب).. وسألت في قسم الفلسفة عن الدكتورة (كاميليا)..

قالت السكرتيرة في لا مبالاة.. وهي مستمرة في الطباعة على الآلة الكاتبة:

- حظ حسن.. لقد عادت اليوم فقط من الإسكندرية!

سرت متوترًا نحو الغرفة التي علقت على بابها لافتة خشبية تقول (أ.د. كاميليا منصور).. وقرعت الباب بحذر:

- ادخل!

دعاني الصوت الرجولى الخشن فدخلت.. كانت هي.. هي بعينها.. لكني لاحظت أنّها لم تبد سعيدة أو متحمسة للقائي.. قلت لها وأنا أجلس:

- لم تتصلي بي منذ أربعة ايام

- أفندم؟!

- منذ أن جلسنا في الكافتيريا نتحدث عن التلاشي.. لم...

رأيتها تنهض وقد رفعت كتفيها.. وعلى وجهها أعتى علامات الغضب.. وعندئذ عرفت أنّها حقًا ليست هي.. لون العينين مختلف.. الذقن مدبب ومشقوق.. التجاعيد أكثر.. المساحيق أقل.. ليست هي... والآن يجب أن أفرّ.

- هل جننت أيها المخبول؟.. أنا أجلس معك في كافتيريا وأتصل بك في دارك؟.. عم تتكلم بالضبط يا أستاذ؟.. أنا لم أرك في حياتي.. يا لها من وقاحة وقلة حياء!.. يا (شعبان)!.. (شعبان)!

لقد فتحت بوابة الجحيم على نفسي، وحين تبدأ هاته السيدات قويات الشخصية القياديات في الصراخ، فلن يُسكتهن سوى الديناميت.. وها هو ذا

(شعبان) الساعي يهرع إلى الغرفة ليعرف سبب هذا الصراخ...

-- خذ هذه الحثالة وألق بها إلى الخارج!

ثم تنهدت في إعياء.. وأردفت:

- إنّه يتهجم علي...!

* * *

خاتمة..

إلى هنا تنتهي الفترة التي اقتبستها من مذكراتي، ولربما أعود لهذه المذكرات مرة أخرى حين أجد ما يستحق.. فهي - قطعًا - ملأى بكلام لا طائل من ورائه.. وخواطر سخيفة.. ومشاريع لم تتم قط...

انتهت القصة إذن بهذا الموقف المحرج، ووجدتني أرمي إلى الخارج رميًا.. لكنني على الأقل تأكدت تمامًا من أن كل ما حدث لي لم يكن وهمًا...

قابلت د. (محمد شاهين) بعدها في (الفيشاوي)، وسألني عما حققت من

نجاح في موضوع الزواج، فقلت له - بخبث - إنني لا أعرف سبب تبدل طباع (كاميليا)، وطلبت منه أن يتوسط لي عندها فوافق متحمسًا..

وقد كان..!..

صحيح أنّها لم تطرده ولم تلق به في الشارع لأنّها تعرفه جيدًا، لكنّها ظنت بحالته العقليّة الظنون حين راح يحكي لها تفاصيل لقائي معها.. بينما هي لم تكن في القاهرة أصلًا!..

هذا عن (كاميليا)..

أمّا عني أنا.. فلا داعي لأن أقول: إنني هرعت إلى ستوديو التصوير، وطلبت التقاط صورة لي..

وفي اليوم التالي وجدت، صورتي المفزعة، فبدت لي أجمل ما رأيت في حياتي..
ومن نافلة القول أن أقول إنني عدت أتحمل الشمس.. وصارت أشعتها الذهبية الفاتنة صديقتي الدائمة..

* * *

أما عن آخر ذيول القصة - علاقتي بطلبتي - فقد تكفل به (مدحت) نفسه.. الذي شرحت له مدى توتري وتدهور صحتي في تلك الأيام الكئيبة...
يذكر القارئ أنني تحدثت عن (أشخاص) ما.. في مقدمة قصتي مع

حارس الكهف (العدد السابع)...

قلت لك: إنهم انصرفوا.. وأبيت أن أذكر أية تفاصيل عنهم..

الواقع أن الوقت قد حان لأعلن هذه الحقيقة التي كنت أحاول إرجاءها بعض الوقت..

إن (آشتا) و(آشتا) و(آشتا) - الثالث له ظروف مماثلة لهما - مازالوا يزورنني من حين لآخر..

أحيانًا يقرعون الباب..

وأحيانًا أجدهم فجأة أمامي داخل الشقة..

طبعًا هذا الكلام لا أجرؤ أن أخبر به أحدًا سواك لأنّه يشبه - إلى حدٍ كبير - ما يقوله المجانين..

هؤلاء الضيوف غير المدعوين يجيئون إليّ من حين لآخر ليحكوا لي المزيد عن عالمهم..
طبعا لم تتجب (آشتا) لأن جسدها مجرد قشرة، بلا رحم ولا مبايض ولا أي شيء.. لكنهما سعيدان معًا.. وهما - بعد ربع قرن أو أقل قليلًا - ينتقلان من بلد لبلد.. ويعيشان في إطار جديد في كلّ مرّة..
والسبب - حتمًا - هو شبابهما الدائم الذي سيثير الأقاويل حولهما إذا استقرا للأبد في مكان واحد.. اليوم هما زوجان يعملان في محطة بنزين في (فلوريدا).. غدًا هما طالبان في كلية الهندسة بـ (موسكو).. بعد غد هما يبيعان الشاي

في (غرزة) على طريق (سمنود).. المهم أنهما معًا.. وأنهما يفران من عدسات الكاميرا ومن الشمس الساطعة..

* * *

والآن...

أسمع عواء - أو خرير - وحش أسطوري مرعب، يتحرك في أقبية الأساطير الإغريقية قادمًا نحوي.. ليضيف ذكرى مروعة جديدة إلى ذكرياتي...

إن (المينوتور) قادم.. ومعنى هذا أن ندعو الله ألا نكون نحن ضحيته القادمة..

سأحكي لكم التفاصيل كلها.. ولكن هذه قصّة أخرى.

د. رفعت إسماعيل - القاهرة

[تمت بحمد الله]

رقم
الإيداع:
١٦٠٦

المطبعة
العربية
الحديثة
٨ و١٠ شارع ٤٧
المنطقة الصناعية
بالعباسية
القاهرة ت:
٢٨٢٣٧٩٢ -
٢٨٣٥٥٥٤

الفهرس

روايات مصرية للجيب

ماوراء الطبيعة

روايــات تـحـبـس الأنـفــاس
من فرط الغموض والرعب والإثارة

أسطورة عدو الشمس

قالوا إن الأشخاص الذين لا ينظرون في عينيك مباشرة ، هم أشخاص لا يستحقون ثقتك .. فلا تأمن لهم أبدًا ، تُرى ماذا يقولون عن الأشخاص الذين لا تظهر صورهم على الأفلام الفوتوغرافية ؟ .. الأشخاص الذين لا ظل لهم .. والذين لا يتحملون ضوء الشمس ؟ الأشخاص الذين يوجدون حولنا ولا نعرف عنهم شيئًا ..



د. أحمد خالد توفيق

العدد القادم : أسطورة الميـنوتـور

الثمن في مصر ـــــ
وما يعادله بالدولار الامريكي
في سائر الدول العربية والعالم

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
ت : ٥٩٠٨٤٥٥ - ٢٨٣٥٥٥٤ - ٢٥٨٦١٩٧
فاكس : ٢٨٢٧٠٠٢

Notes

[←1]

لا تنسوا أن الأحداث في نهاية الستينات.. حين كانت الصور الفورية نوعًا من قصص الخيال العلمي..